نيل الارب

فى مقـــالات ومواعظ القديس يوحنا فم الذهب

(المقـــــالة الأولى)

لرد الوثنيين فى ان المسيح هو اله لم يزل منذ الأزل

مقـــــدمة

ان كان الاكثرون من الناس - بعضهم يوجـــدون مهملين من ذواتهم وبعضهم قـد اسلموا انفسهم الى الأشـــغال العـــالمية بحـرص كثير منهم وغير هؤلاء قـد استحوذ الجهـل عليهم وفقـــد العـلم منهم فمـــا يتيسر اجتـذابهم بأقـوال طويلة تخلصهم - لذا رأيت انه لا يلزمنى اضطرارا أن أطيل الـكلام بل انتزع غبـاوتهم بسهولة ايجاز الـكلام ، وقلت أنى أجتذب من تهـور منهم فى كسـله كثيرا الى قـراءة ما وضـعناه بأوفــر نشاط ولهـــذا الغـرض لا ازين كلمـاتى وأجملهـا بالفـــاظ واسـماء تحسنها لكننى اضعها وضعا يسهل فهمه من الغلام والجارية والتاجر والنوتى والفـــلاح والمرأة الأرملة فاصـل من سـائر الجهات الى افهـامهم واقتصر بحسب طاقتى تطـويل معانيها فانهض من جمـــاعة السامعين الغافلين ارتيـــاحهم الى ان يستفيـدوا بايسر مرام خلوا من كل تعب ويضـــعوه فى حاسة الذكر منهم واعتمد بجهدى فى ذلك اولائك الوثنيين لانه متى ما قال لنـــا واحد منهم من اين يكون واضـحا أن المسيح كان ولم يزل الهـــا نحتــاج ان نصيـلح هـــذا المطلوب أولا ونتبعـــه بالدلائل • فينبغى أن ننشىء البرهان على ذلك ليس من السماء ولا من البرايا الاخرى وامثالهـــا لاننى ان قلت له ان المسيح ابـــدع السـماء والأرض والبحر فليس يقبـل قـولى لأنه ما يصـدقه وان قلت له انه قـد أقام أمواتا وفتح اعين العميان وطرد شياطين • ما يقبل هذا القول وان قلت له انه وعدنا ملكا ونعمـا صالحة يصعب علينا وصفها فلا يرفض ذلك فقط بل ويضحك على كلامى وينكره • فمن اين استميله الى الايمان ولا سيما ان كان غبيا متعنتـا • فلا يمكن ان استميله الى القبـــول منى الا من الدلائل التى تعتـــرف انا وهـــو بحقيقتها اعترافا مشتركا ذو عـــدم مناقضة فلا يمكن أن يشك فيهـــا •

القســم الاول

فى أن سرعة انتشار دين المسيح دليـل على ألوهيته

ولعمرى ان تحقيقى له أن المسيح أبدع السماء والمزايا الاخــر كلهــا والآيات التى وصفناها • ليس ينيله ولا يوقن به فان سألت فما هى الحجج التى يعترف هو بها • والافعــال التى ما ينكر أن المسيح فعلها أجبتك هى أن شجرة المسيحية غرس المسيح نفسه لانه ما يتردد فى هذا المعنى ولا ينكر أن المسيح نصب كنائســـه فى كل موضـــع من المسكونة • من هـذا الشيء نخترع البرهان على قـدرته ونريه أن المسـيح لـم يزل الها ونقول له لا سبيل لانسان ساذج ان يشتمل فى مدى قصير على هذا المقدار الواسع من الدنيا • الا بقوة سامية لا يمكن تصورها فانه قد عتق جنس الناس من عبادة شنيعة • قد تقـــدم استحواذهـــا عليهم • ومن رذيلة جزيل تدبيرها وقد تمكنت منهم • قد جذب اليه ليس الروم وحدهم • بل وبلاد فارس وجميع الأمم أيضا على ما قد شــاع به الوصف وللوصول الى هذه الأمم المتفرقة لم يستعمل اسلحـــة • ولا انفق اموالا • ولا سير جيوشا ولا أثار حــروبا لكن اقتادهـــا الى طاعتــه • بأناس خالين من العـلم أميين فقراء عراة مجردين من أسلحـة وحفاة ملتحفين بثوب واحد • واستمال بهم قبائل من الناس جــزيل عددها وليس فى ديانتـــه ذكر نعم حاضرة يملكونها • بل وصف نعــم متوقعـــة يؤملونها • واقتلع شرائع ابائهم بما فيها من عادات عتيقة قــد الفوها • وقــد تأصلت فى زمان هذا مقداره فأبطل تمكنها واقتلعهـــا وغرس عوضها شرائعه وفرائضه • التى نقلتهم من حياة كلها سـهولة الى حياة تتبين صعبة • وهذا التغيير قد أجراه المسيح فى تابعيه بعــد ما احتمل صليبه بما فيه من تغيير لأن تلاميذه ما انكروا أن اليهـــود صلبوه • وأنه قاسى منهم المكاره الجزيل عـددها • وقـد انبثت المنـاداة به كل يوم ليس فى هـذه الأماكن وحــدها • لـكنها قد ازهرت فى كل مكان حيث كانت تحارب وبهذا النداء آمن الوف هنا وأقربه الذين كانوا وقر وحشية من الأسود • وصاروا اكثر ائتناســـا من الغنم يتفلسفون فى زوال الحيـــاة وفى المـــوت • وفى القيامة العتيدة وفى النعم المتعذر وصفها • وهــذه المحامد ما انبثت فى المـــدن فقط • ولـكنها قـد خـرجت الى البرارى معها وفى الضياع والى البـلدان والى الجـــزائر والى الموانىء والشواطىء وقد خضع للمصلوب ليس أغنياء النـاس ورؤساؤهم

وحسدهم · لكن قد خضع له معهم بأمانة كثيرة الملوك بأعيانهم · الموضوع عليهم تيجانهم ·

القسم الثانى

شهادة كتب اليهود (التوراة)

والدليل على ذلك ان هذه الأفعال كلها ما كانت على بسيط ذاتها ولكنها قد ذكرت بنبوات كافية قبل زمان طويل · وحتى لا يكون كلامنا متهما يستبين اذا أحضرنا الكتب من عند اليهود الذين صلبوه وقرأنا الشهادات التى تبين أنه لم يزل الاها · وسيظهر فى شبه الناس · قال أرميا النبى « هذا الاهنا ما نحسب لنا الاها آخر غيره اخترع كل طريق العلم وخولها يعقوب فتاه واسرائيل المحبوب منه : وبعد ذلك على الأرض ظهر ومع الناس تصرف (باروخ ٣ : ٣٨) أعرفت كيف اوضح امر المسيح بألفاظ يسيرة · انه كان الها فتأنس · واذ تأنس اعتزم ان يتصرف مع الناس ويبين انه هو الذى اشترع الشريعة الحقيقية · لانه قال اخترع كل طريق العلم وخولها يعقوب فتاه واسرائيل المحبوب منه · فاوضح انه قبل حضوره دبر كل مابه اقتادنا، وهو كل مابه خلصنا ، مشرعا شريعته لنا معتنيا بنا ، مشفقا علينا ، محسنا الينا · ونبى آخر ايضا ما ذكر انه سيتأنس فقط · ولكنه يبين مع ذلك أنه سيولد من بتول · فاسمع كيف قال : « هاالعذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل » (الله معنا) ثم يبين أن ظهوره لم يكن خيالا بل حقيقية قال « زبدا وعسلا يأكل ،، وذلك هو الطعام المألوف الذى يغتذى به الأطفال فى حين ما يولدون · واذا وضح انه ما كان انسانا ساذجا أتم كلامه ،، لأنه قبل أن يعرف الصبى أن يرفض الشر ويختار الخير » (اش ٧ : ١٤ ــ ١٦) وأن الدليل على أنه ليس يكون انسانا فقط ولكن مع ذلك من نسل داود اسمع اشعياء هذا بعينه كيف تقدم وذكر ذلك منذ أعلى الزمان اذ استعمل ألفاظا تنعكس الى معناها وتنتقل كثيرا الى معتمدها وتقدم مع ذلك فقال ،، ويخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب ولذته تكون فى مخافة الرب ،، (اش ١١ : ١ ــ ٣) · لأن يسى كان أبا لداود فحصل واضحا أنه المزمع ان يجيء من تلك القبيلة وليس يأتى من تلك القبيلة فقط · ولكنه سيتقدم مجيئه من بيت داود الشريف

وهذا المعنى قد تقـدم هتافه به · اذ قال « وسيخرج قضيب من جذع يسى » فمـا كان قـوله فى وصـف قضـيب · لكن قـوله فى وصـفه وفى وصف مملكته والدليل على أنه ما قال هذا فى وصف قضيب فقد أوضحه ممـا يتلوه · لأنه اذ قال « وسيخرج قضيب » قال « ويحل عليه روح الحكمـة والفهم » وليس يقول هـذا القول قائل ولو كان عديم الفهم جدا أن نعمـة الروح تراق الى عود · لكن من أوضح البيان انما جاءت الى ذلـك الهيكل الفائق العيب ، وما قال سيفد اليه لكن «ويحل عليه» لأن الروح اذا جاء اليـه يقيث عليه وما انتزح عنه ، وهـذا فقد قاله النـذير العظيم الصـوت واضـحا « قـد رأيت الروح نازلا مثـل حمـامة من السـماء فاسـتقر عليـه » (يو ١ : ٣٢) ولم يصـمت الـكتاب عن عـزم اليهـود الذى اظهروه عند ما ولد لأن البشير قال « فلما سمع هيرودس الملـك اضطرب وجميع أورشليم معـه » (مت ٢ : ٣) واسمع النبى كيف قـد تقـدم فهتف بهـذا الأمر منذ أعلى الزمان بقوله « لأنه يولد لنـا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديـرا ابا ابديا رئيس السلام ،، (اش ٩ : ٦) ·

والدليل على أنه لم يقل هـذا القول فى وصـف انسان ساذج قـوله « الها قديرا » وذلك اقناعا للمكابرين لأنه لايقال لواحد من الناس منذالدهر « الها قديرا » ولا يقال له أيضا « رئيس السلام » أى ليس لسلامه ولا لرياسته حدا وطبيعة الأحوال توضح أن رياسته وسلامه وردا الى كل أرض والى كل صقع وبحر والى كل المسكونة والى كل الجبال والروابى والتلال منذ ذلك اليوم الذى ابتدأ المسيح فيه فقال « سلامى أعطيكم · ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا » (يو ١٤ : ٢٧) ·

وبيان ذلك أن سلام العالم سريع الانتقال والزوال والسلام الذى يعطيه هو حقيقى راسخ باقى ليس له نهاية ولا انقضاء وهذه الأفعـال أفعـاله · والحروب من كل جهة ثائرة كثيرة والاغتيـالات الجزيلة فى كل يوم كاينـة ولـكن الـكلمة متمم أفعاله كلها · تمم هذا الفعل مع أفعاله الأخرى ·

وما تنبأوا فقط أنه سيصير انسانا · لـكنهم مع ذلك · ذكروا حالة وروده لأنه اذا اعتزم أن يجىء لا يبرز بروقه ولا صواعقه من العلو · ولا يزلزل أرضه ولا يهز سماءه ولا ينشىء أهوالا عظيمة التأثير ولـكنه يجىء وديعا دون أن يعلم به أحد لا يزعج ولا يرجف لأنه ولد فى بيت لحم · فى منزل للحيوانات فى مذود صغير فاسمع كيف ولا هـذا الفعل صمتت عنـه

الأنبيـاء لأن أحدهم يقول « ينزل مثل المطر على الجزائر » (مز ٧٢ : ٦) دالا بذلك على سكون مجيئه وزوال الأرجاف عنه · وما أظهروا الحال فقط لكنهم اظهروا مع ذلك تصرفه حينئذ مع الناس وحكمته ودعته · وابصر كيف أظهر هو ذلك لأنه اذا اسلم وبصـق عليـه وثلب وأهين · وضرب بالسياط وصلب أخيرا · ما انتقم ولا من واحد من الذين فعلوا هذه الفعال ولـكنه احتملها كلها بسامي فلسفته ووداعته صابرا على الاهانات والاغتيـالات وهيجان الغضب غضب ذلك المحفل الظالم وهذا جميعه فقد أوضحه الكتاب· وقال « قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفيء الى الأمان يخرج الحق · وتنتظر الجزائر شريعته » (اش ٤٢ : ٤٣) ونبى آخر أيضـا يبين المكان الذى ازمع أن يولد فيه بقوله هكذا « أما أنت يا بيت لحم أفراته ، وأنت صغيرة أن تكونى بين الوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » (مى ٥ : ٢) · ولهذا يبين لاهوته وناسوته بقوله « ومخارجه منذ القديم » قد أوضح وجوده الذى قبل الدهور وبقوله « فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على اسرائيل » يبين لاهوته ومولده بذات جسمه ·

وتأمل ايضا نبوة اخرى لامعة لأنها ما ذكرت انه سيولد فقط ولـكنها مع ذلك أظهرت موضع ولادته بأنه سيكون مشرفا على أن المكان كان حقيرا صغيرا · لأن أهل المسكونة كلها تحاضر الآن معا لتبصر بيت لحم القرية التى فيها ولد وصـار المـكان مشرفا ليس من جهـة أخـرى الا من هذه الجهة وحدها · وتأمل أن النبى أيضا قد أظهر الوقت الذى أزمع أن يوافى فيـه بقوله هذا القول « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب رابطا بالـكرمة جحشه وبالجفنة ابن اتانه غسل بالخمر لبـاسه وبـدم العنب ثوبه · مسود العينين من الخمر ومبيض الانسان من اللبن » (تك ٤٩ : ١٠ ـ ١٢) ·

ارأيت أن هذه النبوة لائقة بالمعنى لأنه جاء حين فنيت رؤساء اليهود وصاروا تحت حكم الرومان وتمت هذه النبوة « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب » فالنبوة تصف حضور المسيح الهنا لأنه حين ولادته صار ذلك الاكتتـاب الأول لمـا استولى قيصر الرومان على أمة اليهود واقتادهم تحت نير عبوديته ، وقـد

دلت بعد ذلك على معنى آخر ، بقولها « وله يكون خضوع شعوب » لأنه لمـا جاء اجتذب الأمم كلها وقد قام عليه هيرودس حين ولد واعتزم قتل الأطفال ليكون منهم وهـذا الحادث لم تصمت الأنبياء عنه أيضا لـكنهم قـدموا هتافهم عنه قبل حدوثه بسنين كثيرة يقول أحدهم « صوت سمع فى الرامة نوح بكاء مر . راحيل تبكى على أولادهـا وتأبى أن تتعـزى لانهم ليسـوا بموجودين » (ار ٣١ : ١٥) واذا اعتزم أن يذهب الى مصر وضح ذلك القول بعضهم « من مصر دعوت ابنى » ولمـا جاء فيها واعتزم فى الحين أن يخرج آيات فى مواضع ظاهرة وقـد قدم الأنذار بذلك فقال أشعيا النبى « أرض زبولون وأرض نفتالى .. يكرم الأخير طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم. الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورا عظيما الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور » (اش ٩ : ١و٢) موضحا بذلك حضوره هناك وتعليمه والمعرفة الحاصلة لهم من عجائبه . ثم وصف أيضا عجائب أخرى كيف شفى العرج وكيف فتح العميان وكيف جعل الخرس ينطقون فقال « حينئذ تتفقح عيون العمى وآذان الصم تتفتح حينئذ يقفز الأعرج كالأيل ويترنم لسان الأخرس » (اش ٣٥ : ٥،٦) وهذا الأمر ما حدث فى وقت من الأوقات الا حين ورود ربنا لمـا صنع آيات وعجائب .

وقد حل فى وقت من الأوقات الى الهيكل فسبحه الأطفال الذين يرضعون الثدى بنغمة فاقدة فصاحتها بتسابيح ظاهرة قائلين هذا القول « أوصنا فى الأعالى مبارك الآتى باسم الرب » وهـذا فقد تقدم النبى من أعلى الزمان وذكره بقوله هـذا القول « من أفواه الأطفال والرضع أسست حمدا بسبب اضدادك لتسكيت عـدو منتقم » (مز ٨ : ٢) . وهـذا معناه ابتعاد اليهود عن خالقهم مع أن العامة الذين لم يعرفوا شرا سمعوه نغمهم بالحمد كرسله. وعندما خاطب اليهود فى معـان كثيرة خاطبهم لأجل زوال فهمهم خطـابات كثيرة . مستورة المعنى كأنه برمز وأمثال . هذا الغرض قد تقدم النبى وذكره منذ أعلى الزمان وقال « اميلوا آذانكم الى كلام فمى افتح بمثل فمى . اذيع ألغازا منذ القدم » (مز ٧٨ : ١،٢) ومع ذلك فالحكمة التى تجلت منه فى مفاوضته الجموع قد تقـدم النبى فأذاعها قديما أيضا وقال « انسكبت النعمة على شفتيك » (مز ٤٥ : ٢) وقال نبى آخر « عبدى (وفى الترجمة الأصلية ابنى) يعقل يتعـالى ويرتقى ويتسامى جدا » (اش ٥٢ : ١٣) وقد وصف هذا النبى أيضا أفعـاله التى صنعها حين وروده بحكمة عجائبه بلفظ وجيز غاية فى السمو وقال « روح السيد الرب على لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين،

ارسلني لأعصب منكسري القلب لأنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالاطلاق لأنادي بسنة مقبولة للرب » (اش ٦١ : ١و٢) والدليل على انه أحسن اليهم واعتزموا هم أن يبتعدوا عنه باطلا وما كان في امكانهم ان يذكروا له عيبا صغيرا ولا كبيرا ما قاله داود النبي ليوضح ذلك بقوله « اكثر من شعر راسي الذين يبغضونني بلا سبب (مز ٦٩ : ٤) وحين اعتزم ان يركب على جحش واتان ويدخل الى المدينة على هذه الحال ، تقدم زكريا النبي من اعلى الزمان وانذر بهذا الفعل على هذه الصفة بقوله « ابتهجي جدا يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت أورشليم هوذا ملكك ياتي اليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » (زك ٩ : ٩) واذ اخرج باعة الحمام وأصحاب موائد الصرف وعمل هذا العمل بغيرته لبيت أبيه موضحا انه ليس بضد لبيت أبيه لكنه ذو مشيئة واحدة معه تقدم النبي وهتف يوصف العزم الذي به عمل هذا العمل بقوله « غيرة بيتك اكلتني » (مز ٦٩ : ٩) وهو قول بليغ مااوضحه · وحين أزمع أن يسلم وأن يقوم بتسليمه من يشاركه في المائدة تعجب كيف أعلن النبي ذلك بقوله « آكل خبزي رفع على عقبه » (مز٤١:٩) وتأمل اتفاق خبر الانجيل مع هذه النبوة فعند العشاء قال « الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني » (مت ٢٦ : ٢٣) واعتزم ان يسلمه ليس على بسيط ذات التسليم لكن بعد بيعه لدمه الكريم وأخذه ثمنا له فما صمت النبي أيضا عن هذا لكن اظهر ما اتفق الفريقان عليه فذلك قال « ماذا تريدون أن تعطوني فأنا اسلمه اليكم · فجعلوا له ثلاثين من الفضة » (مت ٢٦ : ١٥) وقال بمعنى الرمز « فم الخاطي وفم الغاش انفتحا علي » فهذا الدافع اذ عرف انه بعد ذلك أتى اثما عظيما طرح الفضة وبادر الى خنق ذاته وأهلك على هذا الوجه نفسه وأسلم امرأته الى ترميلها وأولاده الى تيتمهم وبيته الى اقفاره فانظر الآن كيف حقق النبي مصابه هذا على هذه الجهة بقوله « لتكن ايامه قليلة ووظيفته لياخذها آخر · ليكن بنوه أيتاما وامرأته أرملة · لتته بنوه تيهانا ويستعطوا · ويلتمسوا خبزا من خربهم » (مز ١٠٩ : ٨ـ١٠) ·

وصار بدلا من ذاك المسلم متياس الرسول فهتف النبي بذلك قائلا : « وظيفته يأخذها آخر » ·

وبعد تسليمه والقبض عليه بايثاره انتصب عليه مجلس حكم مملوءا

مخالفة كثيرة للشريعة من اليهود والأمم فابصر كيف قـد تقدم النبى فـذكر ذلك وقال « لمـاذا ارتجت الأمم وتفكر الشـعوب فى البـاطل · قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه قائلين : لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما » (مز ٢ : ١ـ٣) واذ قال بيلاطس « أاصلب ملككم » هتفوا بذلك الصوت قائلين « ليس لنـا ملك الا قيصر » (يو ١٩ : ١٥) كل هـذا الهيـاج ضد ربنـا وهو صـامت لا يتكلم وصمته هذا فقـد اوضحه اشعياء وقال « كشاة تساق الى الذبح وكنعجة صـامتة أمام جازيهـا فلم يفتح فاه » ثم بين غرض القضية البـاطلة المقامة ضده فقال « ظلم اما هو فتذلل » ومعنى هـذا هو انه لم يحكم عليـه احد حكما عادلا · ثم ذكر علة ذبحه لانه قاسى ما قاساه ليس لأجل خطايا اجترمها لأنه كان خاليا من العيوب

ولا يمكن ان يتصل اليه خطا وانما اسلم من أجل خطايانا (رو ٤:٢٥) تأمل كيف أشار النبى الى ذلك بقوله « على انه لم يعمل ظلما ولم يكن فى فمه غش » وان سألت فلم قتل ؟ اجابك النبى « مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا » وان استخبرت ماهى الفـائدة الـكائنة من صلبـه وموته · اجابك هى هذه الخيرات التى قد نلناها الآن والتى بها أزال رذيلتنا وتلافى الجراحات الحادثة فى نفوسنا وشفاها وداواها بتلك المداواة العجيبة الجديمة وانظر كيف تقـدم النبى فأذاع هذا الفعل بقوله « كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقه » وقوله « تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا » ·

ولم يسكت الكتاب عن ذكر عقاب أولئك العصاة الأشرار الذين انزلوا به تلك الاهانات بل قال « الساكن فى السموات يضحك · الرب يستهزىء بهم · حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه » (مز ٢ : ٤،٥) واصفا شتاتهم فى كل موضع من المسكونة وهـذا الجلاء فقـد اوضحـه الرب فى بشارته وقال « اما أعدائى اولئك الذين لم يريدوا ان أملك عليهم فأتوا بهم الى هنـا واذبحوهم قـدامى » (لو ١٩ : ٢٧) ·

ولمـا ذكر الأنبياء كيفية موته لم يسكتوا عن ايضاحه بل تكلم احدهم قائلا « ثقبوا يدى ورجلى : احصى كل عظامى » (مز ٢٢ : ١٦و١٧) وكذلك تكلموا عن كيفية دفنه فقال المرتل « بين الاموات فراشى مثل القتلى المضطجعين فى القبر ·· وضعتنى فى الجب الأسفل فى ظلمات فى أعماق » (مز٨٨:٥،٦)

ومع ذلك لم يصمت النبى عن أنواع حنوطه لأن النسوة اذ أحضرن مرا وميعه وسليخة قال النبى « كل ثيــابك مر وعود وسليخة من قصور العــاج سرتك الأوتار » (مز ٤٥ : ٨) ثم توقع قيــامته من القبر فانظر كيف تقــدم النبى باذاعة هــذا الخبر فقال « لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية · لن تدع تقيك يرى فسادا » (مز ١٦ : ١٠) والدليل على انه أراح النــاس من الشيطان وجنوده وكسر أسلحة القوى وعمل هــذا العمل بموته عوضــا عنا ودفع الى الموت نفسه رأنه اعتزم أن يرد المخطوف ويرث هو كثيرين ثم انحدر الى الجحيم وارعب كل الذين هنالك وملأهم قلقــا ونقض قلعــة العدو اسمع الساكنين اسفل يقولون بعضهم لبعض « ارفعن ايتها الأرتاج رؤوسكن وارتفعن أيتهــا الأبواب الدهريات فيــدخل ملك المجد ·· رب الجنود هو ملك المجد » (مز ٢٤ : ٧ــ١٠) واشــعيا يقول « انا اسير قدامك والهضــاب امهــد · أكسر مصراعى النحاس ومغاليق الحــديد أقصف · وأعطيــك ذخائر الظلمة وكنوز المخابىء » (اش ٤٥ : ٢و٣) ملقبا الجحيم بهذا اللقب لأنه وان كان جحيما الا انه ضبط نفوس قــديسين واوانى مكرمة مثل ابراهيم واسحق ويعقوب· فلذلك سماه كنوزا ودعاه مظلما لأن شمس العدل لم يكن قد ظهر بعد ·

والدليل على انه اعتزم ان يرتقى الى السماء ولا يقيم فى الأرض هو ان هــذا الارتقاء اهتم به الأنبياء قــديما فقالوا « صعد الله بهتــاف الرب بصوت الصور » (مز ٤٧ : ٥) موضحا بالتهليل والبوق ظهور ارتقــائه واعتلائه · والدليل على انه اذ طلع اعتزم ان يقف ليس مع الملائكة ولا مع قوة أخرى لــكنه ازمع أن يجلس على العرش الملكى بعينه · اسمع ما قاله النبى فى ايضاح ذلك « قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك » (مز ١١٠ : ١) ·

القســم الثــالث

فى سلطان الرسل وقوة خدمتهم على ضعفهم ورقة حالهم

واعتزم بعد ذلك أن يرسل رسله وهذا الفعل قد سبقت الأنبياء وهتفت به « ما اجمل على الجبــال قدمى المبشر المخبر بالسلام المبشر بالخير المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك الهك » (اش ٥٢ : ٧) ٠

واذا تأملت أى جزء يمدح من أجزاء الجسد تجده يمدح الرجلين اللتين حملتاهم الى كل صقع ٠ ثم ذكر حال اقتدارهم فقال ربنــا يعطى المبشرين بقوله « قوة كثيرة » لأنهم ما حركوا أسلحة ولا أنفقوا أموالا ٠ ولا قهروا بقوة لجسمهم ولا بكثرة جيوشهم ٠ ولا بشىء آخر هذا تأثيره ٠ لكنهم قهروا بكلام ساذج وقوة غزيرة واظهار آيات لأنهم بمناداتهم بالمصلوب واخراجهم معجزاته استظهروا هذا الاستظهار على المسكونة لهذا المعنى قال الله « يعطى المبشرين بقوله قوة كثيرة » واصفا آياتها لأنها بالحقيقة قوة تفوق الوصف ٠ كانت تنهض الصــياد والعشار وصــانع الخيـــام وبأوامر ساذجة كانوا يقيمون أمواتا ويطردون شياطين ويشفون مرضى ويبكمون الفلاسفة ويسدون أفواه الخطباء ويقلبون الملوك والرؤســـاء ويستظهرون على كافـــة الأمم والوثنيين ٠ فهذه الفعال كلها وصلوا اليها بذلك القول الالهى وبقوة جزيلة نقلوا الى الأحيــاء أمواتا والخطــاة الى متدينين والعمى الى ناظرين ٠ ونقلوا أسقام طبيعتنا وطردوا رذيلة أنفسنا ٠

ثم من أين حصلت هذه القوة ؟ ابحث تجــدها حصلت لهم من الروح المعزى ٠ وهــذا المعنى قــد أوضحه الكتاب بقوله « وامتلأ الجميع من الروح القــدس » (اع ٢ : ٤) والدليل على أن نعمة الروح القدس وردت فى السنة نارية وأقامت فى افواههم ان يوئيل النبى قــد تقدم فقال منذ القديم « ويكون بعد ذلك أنى أسكب روحى على كل بشر فيتنبــأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم احلاما ويرى شبابكم رؤى ٠ وعلى العبيد أيضا وعلى الاماء أسكب روحى فى تلك الأيام » (يؤ ٢ : ٢٨و٢٩) ثم تقــدم فأنذر باليوم المنتظر ولم يصمت عن ذكره فقال « قبل أن يجىء يوم الرب العظيم المخوف » (عــد ٣١) ثم

اوضح خلاصنا بايماننا فقال « ويكون ان كل من يدعو باسم الرب ينجو » (عد ٣٢) ٠

ولم يرسلهم فقط ولكنه تفضل فأنقذهم الى كل صقع من المسكونة ٠ ولم يبق أحد ما لم يسمع نداءهم لأن الى الأرض كلها شخصت نعمتهم والى اقاصى المسكونة وصلت كلماتهم ٠

ثم بين انهم نادوا بسلطان كان أوفر اقتدارا من ذوى التيجان فقال « تقيمهم رؤساء على الأرض بأسرها » والدليل على ان هامتى الرسل بطرس وبولس كانا رئيسين أفضل من الملوك فيوضحه أعمالهما لأن شرائع الملوك قد تنتقض وهم بعد أحياء ٠ وشرائع هذين العظيمين مع رفقائهم الصيادين ثابتة متمكنة وهم قد قضوا آجالهم وهى باقية قد عدمت أن تكون متحركة وهذا التمكن تمكنها بعد ان حاول نقضها ملوك كثيرونبأنواع عقاب عديدة وباسلحة العذاب الشديد والفاظ الخطابة والبلاغة واللطف والصداقة واللذة والعادة المألوفة والرذيلة الكثيرة والشياطين وابليس المحال نفسه وعوائق غير هذه جزيل عددها ٠

والدليل على ان الرسل صاروا رؤساء ممتازين وصاروا يؤثرون على من تراسوا عليهم انه لم تكن حالهم حال الرؤساء الكثيرين فلم يكونوا مرهوبين مستعلين مخيفين وذلك كالقول « لذلك تشكر لك الشعوب الى الدهر » ومعنى ذلك هو انهم يشكرون لك فضلك ويعتبرونها لك نعمة جزيلة انك خولتهم رؤساء هذا الرفق رفقهم ٠

القســم الــرابع

فى قبول الامم دعوة الرسل للخلاص

والبرهان على أن النداء بايمانه يشتمل على كل مكان اسمعه قائلا : « اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصى الأرض ملكا لك » (مز ٢ : ٨) وقال أيضا فى موضع آخر « لأن الأرض تمتلىء من معرفة مجد الرب كمـا تغطى المياه البحر » (حب ٢ : ١٤) وذكر سهولة طاعة هذه الأمم فقال « ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب لأنهمكلهم سيعرفوننى من صغيرهم الى كبيرهم » (ار ٣١ : ٣٤) وبين أن نظامالكنيسة سيكون فى الأيام الأخيرة خاليـا من شتات يناله فقـال « ويكون فى آخــر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأسالجبال ويرتفع فوق التلالوتجرى اليه كل الأمم · وتسير شعوب كثيرة » (اش ٢ : ٢و٣) والدليل على أن البيعة ليست متمكنة فقط لاتتزعزع لـكن تكون سلامتها مع ذلك كثيرة تشتمل على كافة المسكونة وبينما الرياسات الكثيرة فى البلدان تنتقض وتزولتصير رياستها هى بعد زمان يسير ممتدة وتكون مملكة واحدة · وأكثر الســلامة تــكون لا كما كانت سالفا فى ذلك العصر القديم اذ كان الصــناع بأيديهم يعملون والجبابرة يتقلدون أسلحتهم ويفنون فى صف الحرب · فلمـا جاء المسيح الهنـا انتقضت تلك العادات كلها ووقفت أفعال الحروب فى قسـم محدود · فقد تقـدم اشعيا النبى فأوضح ذلك قائلا « فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل · لا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد » (اش ٢ : ٤) لأن فى الأول كلهم عاشوا فى هذه الأعمال والآن فقد نسوا صنائعهم هذه بعينهـا · واليق ما يقـال أن أكثرهم تركوا تلك الصناعة وان حدثت الآن حروب قليلة فمـا تأثيرها بالمقـابلة مع تلك الحروب المتصلة فى ابتداء الزمان حين كانت تثور فى كل أمة فتن وحروب جزيل عددها ·

ويصف مع ذلك من أين تتكون الـكنيسة لأنها ازمعت أن تحوى ليس الأناس الوديعين ولا الأنيسين الصالحين فقط ولـكنها تحوى مع ذلك أناسا كانوا متوحشين عادمى الانسانية فى ذواتهم ويصيرون كلهم كنيسة واحدة اســمع النبى كيف قـــد أوضــح تـكون قطعانها وقال « فيسكن الذئب مع الخروف » (اش ١١ : ٦) مظهرا ما يجرى بين الملوك المؤمنين والدليل على

أن هذه الأقوال ليست فى وصف وحوش فليقل لنـا اليهودى متى حدث هذا لأن ما رعى فى وقت من الأوقات ذئب مع خروف فان كان يؤمل أن يرعى فى المستقبل فمـا المنفعـة التى يفيدها هـذا الحادث لجنس الناس لـكن هذا القول انما قيل فى وصـف سجية النـاس الوحشيين المتنمرين · فى وصف الصقالبة وأهل اتراكيس والسودان والهنـد وبلاد فارس والبرهان على أن هذه الأمم كلها ستتحد فى عبادته فقد بينه نبى آخرفقال « فسيسجد له الناس كل واحد من مكانه كل جزائر الأمم » (صف ٢ : ١١) ومعنى هذا الـكلام الواضح أنهم ما يسجدون أيضا له بأورشليم فقط بل فى كل صقع وموضع من المسكونة لأنه ما قد أوعز الى الناس أيضا أن يسيروا الى أورشليم بل كل منهم يثبت فى منزله ويتمم هذه العبادة والدلالة على أناليهود سيخرجون ويتعـدون اسمع النبى كيف قـد تقـدم فـذكر ذلك فقال « من فيـكم يغلق البـاب بل لا توقـدون على مذبحى مجـانا · ليست لى مسرة بكم قال رب الجنود ولا أقبل تقدمة من يدكم » ثم بين من هم العتيدون أن يخدموه فقـال « لأنه من مشرق الشمس الى مغربها اسمى عظيم بين الأمم وفى كل مكان يقرب لأسمى بخور وتقـدمة طاهرة (ملا ١ : ١٠ و١١) أرأيت كيف قـد أوضح شرف عبادة المسيح وكيف أن مذهبها هو الأفضـل المتميز لأنهـا ما تصير فى مكان واحد لـكنها تكون فى خلقنا وسجيتنا ولا تـكون بلحم ودخان ورش رماد ودم لكن افعال خدمته تكون بديانة أخرى ·

ولعل قائلا يقول وكيف استجذب الرسل هؤلاء النـاس كلهم وكانت لغتهم واحدة وهى اللغة العبرانية كيف استمال واحدا فواحدا منهم الصقلى والهندى واليونانى والسريانى والفـارسى والانتراكى الى القبول منه فنجيبه لأنهم استمدوا من نعمة الروح موهبة كثرة اللغات هذه النفيسة الفعل ولم يذكر ذلك الرسل وحدهم لـكن الأنبياء معهم قـد أوضحوه ويظهر مننبواتهم ايضا أن الرسل اقتبلوا معرفـة مختلف اللغـات وأنهم ولا بهـذه المعجـزة اجتذبوا اليهود كما قيل فى نبوة اشعياء « انه بشفة لـكناء وبلسان آخـر يكلم هـذا الشعب » ومع ذلك قال أيضـا « ولـكن لم يشاؤا أن يسمعوا » (اش ٢٨ : ١١ و١٢) فأى كلام تريـده أبين من هـذا ؟ ولمـا اعتزم اليهود على ذلك تقـدم وذكر أنهم سيجحدون المسيح والأمم يبـادرون مسرعين اليه لأن اشـعياء النبى قـد أوضح ذلك فقـال « أصغيت الى الذين لم يسـألوا عنى وجدت من الذين لميطلبونى· قلت هأنذا هأنذا لأمة لمتسم باسمى » ثم

قصـد اسرائيل بقوله « بسطت يدى طول النهار الى شـعب متمرد » وقال أيضا « من صـدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب · نبت قـدامه كفـرخ وكعرق من أرض يابسـة » (اش ٥٣ : ١و٢) وما قال من صـدق تعليمنا لـكنه قال « من صـدق خبرنا » فها هنـا بين أنهم ما ينطقون بلفظ منذواتهم بل ما اخبروا به من الله اياه اذاعوا · وازمع أيضا أن يكرم حظوظنا أكثر من حظوظ أولئك ويفضلها عليها وابصر النبى أيضا كيف قـد أوضح هـذا الفعل بقوله « فأنا أغيرهم بما ليس شـعبا بأمة غبية أغيظهم » (تث ٢١:٣٢) واصـفا حفـاوة الشعب ولهـذا المعنى قال « بما ليس شـعبا » لأن الأمم ما ظنوا أنهم سيكونون شـعبا لله نظرا لحقـارتهم الـكثيرة وعدم فهمهم الا أنهم حصل لهم من ايمانهم انتقـال انتهى تقـديره الى أن ظهروا أكثر تفضيلا من أولئك اليهود المـكرمين · ولعمرى أن هـذا الحادث ازمع أن يبكت اليهود حتى يجتهدوا ليصيروا أفضـل مما كانوا فبين النبى هذه الحوادث كلهـا لأنه لمـا قال سأفضلهم قصـد بعلمه السـابق أن يوبخ عصيانهم بطاعة الأمم فقـال « أغيرهم بما ليس شعبا » وأعطيه نعما صـالحة يبلغ تقـديرها أن تحسدوه أنتم حتى أنه يوبخكم · وهـذا الحادث جعلهم أفضـل مما كانوا لأن الذين كانوا قـد سمعوا خطـاب موسى وأبصروا معجزات أنبيـاء جزيل عددهم وعاينوا بحرا منفلقـا وصخورا متشققة وهـواء منقولا وشـاهدوا عجائب هـذا تقديرها وذبحوا بعد ذلك أولادهم للشياطين وعبدوا باعل فاغور وضحوا لأشجار كثيرة فلما تقـدمنا نحن الأمم الى ربنـا واستبانت أحوالنا أفضل مما كانت كثيرا وبخنا نحن اليهود بهـذه الصـورة فارتدعوا وصاروا أفضـل مما كانوا لأن ما لم تعلمه النبوات ومشاهدة العجـائب والمعجزات أصلحته غيرتهم منا لأنه ولا واحد منهم الآن يـذبح أولاده ولا يبـادر الى الأصنام ولا يسجد الى عجل ·

القسم الخامس

فى ذكر بعض نبوات أخرى عن المسيح

وصورة البتولية ما كانت الشريعة العتيقة تذكر اسمها ولكن لما ازمعت أن تشرق فى البيعة الجديدة وأبصر داود المغبوط ذلك تقدم فذكر هذه الفضيلة اذ قال هذا القول انها تقدم لملكنا عذارى خلفها منقادات الى هيكل ملكنا · ولعمرى انه ما صمت عن ذكر اسم الكهنة بعينه اعنى اسم الأساقفة والرقباء لأنه قال لأقيمن رؤسائك فى سلامة ورقبائك فى العدل · واعتزم أن يجىء ويطالب الناس بخياناتهم ويطالب اليهود مع غيرهم وابصر كيف قد تقدم ملاخيا فقال هذا القول « لأنه مثل نار الممحص ومثل اشنان القصار فيجلس ممحصا منقيا للفضة » (ملا ٣ : ٢،٣) موافقا كلام بولس لأن يوم القيامة يدل أنه يشطر بنار وداود أيضا قد أنذر بمجيئه الثانى وقال « السحاب والضباب حوله » (مز ٩٧ : ٢) لأن مجيئه الأول حوى لطفا وقربا كثيراً ومجيئه الثانى فما يكون هذه الحال حاله لكنه يكون من السموات بعينها وينبث حول محافل ملائكه ويلمع بوروده براياه كلها ببروق تبرق عليها لأنه قال عز قوله « لأنه كما ان البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغارب هكذا يكون أيضا مجىء ابن الانسان » (مت ٢٤ : ٢٧) موضحا ظهوره وأنه حينئذ ليس يحتاج الى نذير ينذر به لكن مجيئه يوضح ذاته وهذا المعنى فقد أوضحه النبى وقال الهنا يرد ورودا ظاهرا ثم استورد مجلس حكمه المنتظر وقال « يأتى الهنا ولا يصمت · نار قدامه تاكل وحوله عاصف جدا » وملاخيا ذكر أنه مثل نار الممحص ومثل اشنان القصار وداود بعد ذكر عقوباته ويصف فعله الالهى فقال « يدعو السموات من فوق والأرض الى مداينة شعبه » والأرض ها هنا يقصد بها كافة الجنس البشرى وسيحضر مع كل جنس البشر جنس اليهود أيضا لأنهم اياهم يقصد فقال « اجمعوا الى اتقيائى القاطعين عهدى على ذبيحة وتخبر السموات بعدله لأن الله هو الديان » (مز ٥٠ : ٥،٦) ومعنى ذلك أن الهنا لما جاء أولا ابطل الذبائح وأمر أن لا تقدم له أيضا وأن تقبل هذه الضحية التى لنا وعباداتنا · اسمع كيف قد تقدم الانذار بهذا اذ قال « ذبيحة وتقدمة لم تسر » (مز ٤٠ : ٦) « ولكن هيأت لى جسدا » (عب ١٠ : ٥) لأنه

بجسده ازمع أن يثبت فرائض شريعته الجديدة وافعال طاعتنا لذلك قال « هيأت لى جسدا ، وهذا المعنى فقد بينه النبى فى غير هذا الموضع وقال « شعب لم أعرفه يتعبد لى من سماع الأذن يسمعون لى » (مز ١٨ : ٤٣و٤٤) ما راى بحرا مغلقا ولا صخورا مشققة تفيض ماء لكنه سمع من رسلي فها هنا هيأت لى جسدا ، حينئذ قلت هانذا جئت بدرج الكتاب مكتوب عنى » (مز ٤٠ : ٧) فأوضح هذين الفعلين أنه قد حضر حينئذ حين انقضت الذبائح وذلك حدث حين انتقلت رياسة اليهود الى رياسة أهل رومية وأنه قبل وروده قد تقدم الانذار بمجيئه ٠

فان سألت وكيف كتب من أجله أنه سيحضر أجيبك ان باروخ قال سيظهر فى الأرض ويتصرف مع الناس وموسى يقول هذا القول « قال لى الرب ٠ أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا اطالبه » (تث ١٨ : ١٨و١٩) أرأيت هذا العارض انه ماعرض ولا لواحد من الناس الا له وحده لأن أنبياء كثيرين قد فاتوا وعصوهم كلهم وخالفوهم الا انهم ما نالهم مكروه ٠ ولما خالفوا هذا وعصوه صاروا تائهين ضالين هاربين منتقلين يجسولون أماكن كثيرة وغربوا من مدينتهم ومن عبادات آبائهم وشرائعهم وحصلوا فى هوان وعذاب وعقاب وفى الفوادح التى قاسوها على أيام اسباسيانوس وتيطس التى مايمكن وصفها وكان الندب على هذه الصفة يفوق كل مصيبة وفيهم تم قول موسى النبى « ان الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه » لهذا السبب اقفرت أقوالهم وأفعالهم كلها لما عصوا ذلك النبى وخالفوه ٠

القسم السادس

في أن شرائع ملوك العالم تنتهي بموتهم

وأما شريعة المسيح فقد تأيدت بموته

والدليل على أنه يقيم الناس كلهم فقد قدم النبي ايضاح ذلك بقوله سيقوم الموتى الذين في القبور لأن النداء الذي منك هو شفاء لهم · لأن بعد صلبه وبعد ذبحه تكون أحواله أبهى مما كانت حسنا لأن بعد قيامته لبثت المناداة به بل أخذت تزيد لأنه لما ربط واسلمه تلميذه وبصق عليه وثلب وضرب بالسياط وصلب على خشبة واقتسم الجنود لباسه ولم يؤهل عند أولئك أن يوضع في قبر وقضوا عليه بسوء نية فأنزل منزلة مجدف وفضل عليه باراباس الغاصب لأن رهط اليهود قال « كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر » (يو ١٩ : ١٢) وأيضا « هاقد سمعتم تجديفه » (مت ٢٦ : ٦٥) فان أزمعت هذه العوارض أن تعرض كلها له لا تخافن مطلقا لأجل هذه الحوادث الحادثة على المصلوب على المضروب بالسياط على الملطوم على خده على المبصوق عليه على الذي ثلبه اللص على المقتول بتهمة اغتصاب وتجديف · فهذه الاهانات العديدة هي التي ستكون من أصل كرامته بعد قيامته حتى أنه ليس يقاوم بعد بل يصير له تكريم كثير · وهذا الحادث الذي حدث هو الذي تقدم النبي وهتف به قائلا « ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسى القائم (أي المقام) راية للشعوب اياه تطلب الأمم ويكون محله مجدا » (ش ١١ : ١٠) فهو يشير الى نوع وفاته بعينه بأنه أوفر كرامة من التاج لأن الملوك الآن اذا وضعوا عليهم تيجانهم يرسمون فيها علامة الصليب التي هي سمة وفاته وفي حللهم البنفسجية اللون وفي تيجانهم وعلى أسلحتهم وصف علامة الصليب وفي الصلوات عند اجتماع المؤمنين يظهر الصليب على المائدة الطاهرة وفي كل صقع من المسكونة الصليب يلمع أكثر من لمعان الشمس « ويكون محله مجدا » · على أن شرائع الناس وأوامرهم من شأنها أن تقوم في وجودهم والموفقون منهم تزهر أوامرهم في حياتهم واذا قضوا آجالهم تنتقض مع أعمارهم أوامرهم وهذا ماشاهده حاصلا ليس للغني من الناس ولا للرئيس فقط ولكنه يتم مع الملوك أنفسهم وبيان ذلك أن شرائع الملوك تبطل بعدهم وتماثيلهم تثلم وذكرهم يخمد واسمهم ينسى وذووهم

ينكرون والمختصون بهم يصيرون فى الذل والهوان بعد ان كان الكثيرون يخافونهم ويعملون باشاراتهم · نعم جموعهم ومدنهم يتحول حالها وبعد أن كان فى وسعهم أن يقتلوا ويستعبدوا ويستعيدوا المأسورين من بلدانهم الا أن أحوالهم كلها مع ذلك تنتقض بعدهم وان كانت فيما سلف عظيمة معتبرة ·

وأما فى أوان صلب ربنا فحدث خلاف ذلك لان فى وقت صلبه كانت كآبة عظيمة لأن يهوذا أسلمه وبطرس جحده وباقى التلاميذ فروا وتركوه وبقى وحده بين أعدائه وكثيرون بعد ايمانهم به رجعوا الى الوراء فأما بعد أن ذبح وقضى أجله فقد صار الأمر بالعكس · ولكى تعلم أنه ما كان انسانا فريدا ساذجا وأنه يستحق أن يتعجب من أحواله هو أن اوامره ما انتقضت بموته لكن أعجب من ذلك أنها صارت أبهى حسنا وأبهج وأعلى سموا مما كانت كثيرا فان بطرس الذى لم يحتمل قبل صلبه كلام جارية بوابة بل أقسم أنه ما يعرف المسيح تراه بعد صلبه سائرا فى المسكونة أجمع مشيرا الى أن المصلوب اله وأخيرا اقتبل وفاته بالصليب منكسا وجموع من الشهداء ذبحوا واختاروا أن يقتلوا أفضل من أن ينطقوا بما نطق به بطرس عند خوفه من البوابة · والآن فكل بلد وكل مدينة وكل برية ومسكونة تنادى به مصلوبا والملوك والرؤساء والقواد والأمراء والعبيد والأحرار والأغنياء والفقراء والحكماء وأجناس الناس المختلفة وكافة الأرض التى تراها الشمس قد وصل اليهم اسمه وخضعوا وسجدوا له لكى نعرف ما هو « ويكون محله مجدا » فالمكان الذى اقتبل ذلك الجسم الذبيح كان صغيرا وحقيرا جدا وهو الآن أشرف من ايوانات كثيرة ملوكية وأوفر تكريما من الملوك « ويكون محله مجدا » ·

وهذا الحادث بعينه فما عرض له فقط لكنه قد عرض لتلاميذه لأن المحتقرين المستهان بهم المعتقلين الذين قاسوا مصاعب جزيلة لما قضوا آجالهم صاروا أوفر تكريما من الملوك والعظماء وفى مدينة رومية أقدم المدن يهملون ملوكهم وأعيانهم وكافة أشغالهم ويجرون الى قبرى الصياد والخيمى (أى بطرس وبولس) وفى مدينة القسطنطينية ملكة المدن قد اعتبره الملوك ذوو التيجان فخرا عظيما أن تدفن أجسادهم ليس عند أجداث الرسل ولا بقربهم بل أبالفضاء الذى قدام الباب خارجا وصار الملوك بوابين للصيادين وسيظلون هكذا موقرين الى الأبد ·

وتأمل أيضا في الشرف العظيم الذي تحول اليه الموت اللعين الأقبح من الميتات كلها الذي ماته مخلصنا لأنه ليس من أنواع الموت ما يصير المائت به تحت لعنة • فالمخطئون في الزمان القديم بعضهم كانوا يحرقون وبعضهم يرجمون وبعضهم ينتهي عمرهم بصنف غير هذا من التعذيب وأما المصلوب المعلق على خشبة فلم يقاس فقط هذا التعذيب الصعب لكنه مع ذلك « ملعون كل من علق على خشبة » (غلا ٣ : ١٣) الا أن هذا الصلب الذي يخلع اللعنة على من صار اليه صار مع ذلك هذا الصلب مشرفا وأبهى من التيجان حسنا لأنه ليس لتاج الملك الآن من الاعتبار كما للصليب الاكرم وهذا الذي كان كافة الناس يرتاعون منه قديما قد صار الآن الى هذا المجد عند جميع المؤمنين مأثورا يحاربون من اجله حتى أنه يوجد في كل مكان لهم • عند رؤسائهم عند المرؤوسين منهم عند رجالهم عند النساء منهم عند العذارى عند المتزوجين عند الأحرار والعبيد • وكلهم يرسمونه رسما متصلا ويصورونه على أشرف أعضائهم ويرسمونه كل يوم على جباههم كأنه على تمثال مشهور وعلى هذه الصفة يرسم في المائدة الطاهرة وعلى هذه الصورة يرسم به الكهنة • على هذه الجهة يلمع أيضا وقت العشاء الرباني هذا الصليب يبصره المتجول في كل مكان في بيوت المؤمنين في أسواقهم في طرقاتهم في البراري في الجبال في الروابي في التلال في السفن في البحار في الجزائر في ثياب المؤمنين في أسرتهم في أسلحتهم في خدورهم في مجالس شربهم في أوانيهم الفضية في ظروفهم الذهبية في صناديقهم على جواهرهم وذخائرهم في كتابة حيطانهم في أجسام بهائمهم المألوفة كثيرا في أجسام من يحصنونه من الشيطان • يتوشحون به في حين حروبهم وفي زمان سلامهم وفي ساعات ليلهم ونهارهم في صفوف المنعمين في طوايف الأشقياء المضرورين •

بهذه الصورة صارت هذه المنحة موقرة عند المؤمنين • بهذه الصفة صارت هذه الموهبة والمنة المتنع وصفها عند جماعاتهم يحاربون على صيانتها • ليس يخجل أحدهم منها ولا يسترها مفكرا أنها كانت صورة دالة على موت لعين لكننا كلنا نتجمل بالصليب أكثر من تجملنا بأكاليل أو تيجان أو بوشاحات كثيرة من اللؤلؤ والجواهر • وليس غريبا أن الصليب مقبول وغير مرفوض لكن أعجب من ذلك أنه مأثور معشوق محروص على تكريمه

من جماعتنا لا مع فى كل مكان موضوع فى جدران منازلنا فى سقوفنا فى مصاحفنا فى مدننا فى ضياعنا فى مواضعنا المسكونة والغير المسكونة ٠

فأنا أسأل الوثنى بلذة كيف صارت الصورة الدالة على هذه العقوبة عقوبة الموت اللعين مأثورة عند جميع المؤمنين يحرصون على تكريمها لو لم تكن قدرة المصلوب لم تزل عظيمة ؟ فان كنت تظن هذا الأمر هينا وليس شيئا ثم تعاند الحق وتتعامى مقابل الضوء فاليك أمرا آخر برهانا على عظم شأنه٠ وان سألت ما هو أجبتك قد وجد عند الذين يعاقبون المجرمين أنواع من آلات العقاب كثيرة منها خشب وسياط وسيور ورصاص واضفار يجردون بهـا الأجسام وجدايد يحطمون بها الأعضـاء فمن من النـاس اختـار أن يدخل هذه الآلات إلى بيتـه من يؤثر أن يمسها بيده أو يصـاحب الشرط الذين يعملونها ويكون بقربهم أو يبصرهم فـكل النـاس يمقتونها ولا يريدون لمسها أو النظر اليها وبعضهم يستعيذون ويفرون منها بعيدا ويردون الحاظهم عنها وهذه الحال كانت حال الصليب العتيق فى الزمان القديم وأولى ما يقال أن حاله كانت أصعب من هذه الأصناف كثيرا وهذا فقد تقدمت ذكره فى كلامى انه كان صورة دالة على موت لعين ولـكنه صار عند كافة المؤمنين موقرا يجتهد فى تكريمه مأثورا بهذه الصفة عند جمـاعاتهم مفضـلا على جميـع الأشياء ٠ وذلك العود بعينه الذى بسط عليه ذاك الجسد الأقـدس مصلوبا فوقه كيف صـار مكرما فى كافة المسكونة يحارب أهلهـا بعضهم ليحصلوا عليه وكثيرون منهم اذا وجدوا منه يسيرا يحفظونه فى غلاف ذهبى ويعلقه الرجال منهم والنساء فى أعناقهم متجملين به متحصنين بقوته ٠ على أنه قد كان عود عقوبة وخشبة تعـذيب الا ان مبدع البرايا كلها وجابلها الذى نقل المسكونة من رذيلة جزيلة تقديرها الجاعل الأرض سماء هو رفع هـذا الصليب وقـد كان عارا ولعنة وأعلاه فوق السماء وهذه الحوادث كلها اذ تفهمها النبى قال « ويكون محله مجدا » ٠

القســم الســـابع

في فضل الصليب وجزيل بركاته

لأن الصورة الدالة على الموت (ولا افتأ اكرر هذا اللفظ) صارت سببا لبركات جزيلة وسورا للصيانة والحفظ وبها جرح ابليس وغلب وصارت له ولقواته المعاندة لجاما ٠

وبهذا الصليب أبطل موتنـا وكسر أبواب الجحيم النحاسـية وطحنت بكراتها الحـديدية وكذلك قلعـة ابليس الحـال ٠ بالصليب غفرت وهزمت خطايانا ٠ بالصليب انقذت المسكونة الرازحة تحت العقاب الذى تستحقه ٠ الصليب حجز الضربة المرسلة من الله الى طبيعتنا ٠ وما لم يقدر عليه البحر المنقسم والصخرة المنفجرة والهواء المنقول والمن النازل من السـماء مدى اربعين سنة مع شرائع جزيل عددها فى البرية وفى فلسطين لاصـلاح أمة واحدة اقتدر عليه الصليب ليس فى أمة واحدة بل فى المسكونة كلها وفى كل أرض تبصرها الشمس ٠ الصليب الدال على الموت الشنيع المخيف المستعاذ من العار الذى يجلبه اقتدر على هذه الأفعال بعد موت المصلوب عليه حتى يعرف عظم اقتدار ذلك المصلوب كيف عمل هذه الأعمال أجمع بأيسر مرام خلوا من حرب ٠ وما فعل هذه الفعال فقط لـكنه بعدها أظهر مقدرته وبرهان ذلك أن المسكونة التى كانت خالية من ثمر ونسل فى معرفة الفضيلة والتى لم تفضل على أرض مقفرة ولا فرق بينها وبين امرأة عاقر هذه جعلها تلد ثمرا صالحا وصيرها بغتة فردوسا واظهرها انها ذات أولاد لا يحصى عددهم وهذا الفعل تقدم النبى منذ أعلى الزمان واظهره بهذه الصفة اذ يقول « ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد اشيدى بالترنم ايتها التى لم تمخض لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل » (اش ٥٤ : ١) وجعل هذه الحال الجليلة حالهـا واعطاها شريعة أفضل من الشريعة العتيقـة وهذه العطية فما صمت الأنبياء عنها اذ قالوا « ها أيام تأتى يقول الرب واقطع مع بيت اسرائيـل ومع بيت يهوذا عهدا جـديدا كالعهد الذى قطعتـه مع آبائهم يوم امسكتهم بيـــدهم لاخرجهم من أرض مصر حين نقضـوا عهدى فرفضتهم يقول الرب بل هــذا هو العهد الذى أقطعـه مع بيت اسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب اجعـل شريعتى فى داخلهم واكتبها على قلوبهم » (ار ٣١ : ٣١-٣٣) ٠

والدليل على أنه لمـا جاء اعتزم أن يخول جميع الذين آمنوا به غفران ذنوبهم لما سبق وعلمه به النبى قائلا « لأنى اصفح عن اثمهم ولا أذكرخطيئتهم بعد » (عد ٢٤) فمـا الذى يكون ابين من ذلك القول والمع وضوحا لاعلاء شأن الشريعـة الجـديدة ونعمته المعطاة لمن آمنوا بها · فطوبى لمن قبل تلك الموهبـة ولم يرفضها لأن هـذا الاله المحسن الجواد سيحضر فيما بعدقاضيا كما سبق الأنبياء واعلنوا ذلك الحضور الرهيب فمنهم من ابصره بالشـكل بعينه الذى سيوافى به ومنهم من تقدم فانذر به بكلامه لأن دانيال النبى فيما بين أهل بابل قال « كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى وعرشه كلهيب نار وبكراته نار متقدة · نهر نار جرى وخرج من قدامه الوف الوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قـدامه فجلس الدين وفتحت الأسفار (دا ٧ : ٩و١٠) ولـكن الأبرار يتنعمون حينئذ ويبتهجون كقول دانيال أيضا عن الأبرار « يستيقظون هـؤلاء الى الحياة الأبدية » (دا ١٢ : ٢) ·

القســم الثـــامن

فى شهادة النبوة ولماذا رفض اليهود دعوة المسيح

أرأيت مبالغة استقصاء الأنبياء كيف قـد سـبقوا فاخبروا عن كافـة الحوادث ونادوا بكل ما سيكون فكيف تجرؤ اذا أن تنكر وقد ظهرت أمامك هذه النبوات التى تقـدم الهتـاف بها وقد رأيت أن أعمال المسيح حققت تلك النبوات ولم يسقط منها حرف واحد · ليس من يقول أنها كانت الفاظامخترعة لأننـا نستشهد بالذين تسلموا الـكتب أولا وقـد تمسكوا بها الى الآن وهم أعداء لنـا وأولاد صالبى ربنا ولـكنهم حافظون لها بغاية تامة · فانسألت لمـاذا لم يصدقوا كتبهم ؟ أجبتك لأنهم فى ذلك الحين لمـا ابصروه مجترحا آياته لم يصدقوه وعـدم تصديقهم لا يطعن فى صـدقه بل سببه تعـاميهم وقساوة قلوبهم · فاننـا نرى أن الله خلق العـالم بنظـام عجيب يشهد لقدرته وكل ما فيه ينادينا أن نمجد الله تعـالى خالقه الا انه مع ذلك يوجد قوم يقولون أن العـالم متكون من ذاته وبعضهم ينـكرون تـكونه وغـيرهم ينسبون الى الشياطين ابداعه والعناية به ومنهم من ينسبون ابداعـه الى البخت والطالع والمولد والى حركات النجوم المتحيرة ولـكن هذا الاعتقـاد

الـكفرى لا يدل أن الله ليس خالقنا للكون وليس عليه تعالى أقل لوم اذا كفر النـاس بل اللوم على الذين يسلمون أنفسهم للشر فيقودهم الى انـكار الحق ٠ فالمريض مرضا خطرا قل أن ينفعه الدواء بعكس من كان مرضـه هينا ٠ كذلك أن النفس اذا كان ودها أن تنظر الواجب ولا تحتاج فى ذلكالى معونات كثيرة وكذلك اذا كانت النفس فاقدة الود والحسن تعتورها أمراض وتمسى أسيرة هواها وتلبث عميا ولو هـداها الى الحق أبلغ الناس ٠وذلك واضح من ناحية أخرى كم أناس ماسمعوا شرائع واظهروا عيشة أشرف من الشرائع وغير هؤلاء نشأوا منذ نعومة أظفـارهم الى أقصى شيخوختهم فى الشرائع وما كفوا عن انحرافهم عنها ٠ وهذا عينه ما عرض لليهود قديما فانهم شاهدوا أيات وعجائب لاتعد ولـكنهم لم يصـيروا أفضل مما كانوا ٠ واهل نينوى اذ سمعوا صوتا واحدا انتقلوا عن رذيلتهم وباينوها ٠ وهـذا يظهر أيضا اذا تأملنا فى أمر يهوذا فكم تعلم من سيده ولـكنه صار مسلما اياه ٠ أما اللص فلم يتعلم قط ولـكنه تأثر حالا من وداعة المسيح واعترف به مصلوبا ونادى بملكوته ٠ فلا تتخذ الأشرار ذوى النفوس الملتوية قدوة لك ولـكن اتخذ مثالا لك الذين يرتأون أراء قويمة من حقيقة أفعالهم ٠فاليهود ما آمنوا به الا أن الذين من الأمم آمنوا به وهذا المعنى ذكره الأنبيـاء لأن أحدهم قال « فلا يتكلم ابن الغريب الذى اقترن بالرب قائلا افرازا افرزنى الرب من شعبه » (اش ٥٦ : ٣) وفى حين مجىء مخلصـنا قـد آمن به كنعانيون وامرأة سامرية بل مدينـة السامرة برمتها وكهنةاليهود ورؤساؤهم حاربوه وقاوموا تعاليمه ونفوا الذين آمنـوا به خارج مجمعهم ٠ وما كان قديما هو مايكون الآن فكون البعض لا يؤمنون بالمسيح لا يدعو الى العجب لأن زوال الود وقلة الوفاء والسريرة الباطل فـكرها ٠ هذه غريزتها والارادة التى سلبتها قوتها أمراض شهواتها هذه سجيتها ٠

القسم التاسع

فى أن لاهوت يسوع تبرهن من تشييده لكنيسته وحفظها

لكن اذ قد ذكرت النبوات التى قالها الأنبياء قديما · هلم بنا نذكر النبوات التى قالها جل قوله حين طاف أرضنا وتصرف مع الناس عبيده فى الحوادث المزمع كونها حتى تعرف ولو من هذه الجهة قدرته لأنه لما جاء حينئذ لخلاص الناس بدأ يصنع العجائب وتقدم فذكر حوادث سوف تتم بعد زمان جزيل موضحا عند الكائنين فيما بعد عجائبه الكائنة فى ذلك الزمان مؤهلا القلوب لتصديقها محققا منهذا البرهان صدق أقواله فىوصف مملكته لأن نبواته منها ما يتم فى الزمن القريب ومنها ما يمتد الى البعيد ومنها ما يصل الى نهاية العالم وكل منها يبرهن على سمو لاهوته ولكى نبين كلامنا نقول بأسهل ايضاح ·

ان له المجد فى حياته على الأرض كان تابعوه اثنى عشر تلميذا ولكنه لم يكن قد انشأ كنيسة بعد ومجمع اليهود كان زاهرا · فان سألت ماذا تنبأ به لما سقطت المسكونة كلها فى الضلال والالحاد أجبتك أنه على أثر اعتراف بطرس « أنت هو المسيح ابن الله الحى » قال « على هذه الصخرة (أى على إعتراف بطرس) ابنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » (مت ١٦: ١٦و١٨) فمن أى وجه تتأمل الى هذه الكلمة تتحقق صدقه ظاهرا فليسيوجد مذهلا للعقل أنه يبنى كنيسته فى المسكونة كلها لكن الأعجب من ذلك أنينجيها من كل ما يصيبها وهكذا لا تغلب ولا تقهر لأن هذا هو معنى قوله « وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » فالأخطار تولد الموت ومصاعب الأخطار تهبط الى الجحيم · أعرفت صدق نبوته · أعرفت قوة وصول قوله الى غايته · أعرفت القاطه اللامعة بافعالها · وقدرته التى يسمو تقديرها وتعرف بأيسر مرام من أعماله كلها · فقوله « ابنى كنيستى » لا يؤخذ على بسيط فهمه ولكن افتح سريرتك وتأمل بعقلك ما هو عظم الفضاء الموضوع تحت الشمس وانه قد ملىء فى مدة يسيرة كنائس هذا مبلغ كثرتها ·

وأن قوله هذا قد نقل أمما جزيلا واستمال اليه القلوب جميعها ونقض فرائض آبائهم وتفطن فى اقتلاع عاداتهم المتأصلة فيهم وانتزع اللذة المغرمين بها وطرد قوة الرذيلة واقتلعها وذراها كالغبـــار بعيدا عنهم وأبعد عنهم محاربتهم وهياكلهم وأصنامهم وأعيادهم النجسة وأفعالهم الشنيعة وقتارهم النجس وبددها كما يتبـدد الدخان . ثم أنشأ فى كل مكان مذابحه فى رومه وفى اقليم فارس وفى صقيع الصقالبة وفى السودان وفى الهند وقد وصل قوله الى أقصى المسكونة التى لنـا وبيان ذلك أن جزاير بريطانيا التى موقعها خارج هـذا البحر الموجود فى نهر أوكيانوس بعينه قد شهدت بقوة لفظتـه هذه لأن هنالك فيها كنائس ومذابح متمكنة فتلك اللفظة التى نطق بها حينئذ هى انغرست فى نفوس كافة الذين آمنوا وفى أفواه جماعتهم والأرض كلها على ما قيل أثمرت صلاحا بعدما كانت مملوءة من شوك الشر وصارت حقلا نظيفا وتسلمت بذور مذهبه الشريف .

ولعمرى أن فعلا عظيما يليق بجلاله وقـدرته الالهيـة أن تبقى كنيسته لا يهلكها اضطهاد أو أذى ولـكن أعظم منه وأليق بمجده أن تكون سـلامتها قائمة والذين يرجفونها كثيرون وأن يقتدر دون أن يقاومه أحد على استخلاص مسكونه هـذا اتساعها عاجلا من عاداتها التى اسـتحوذت عليها فى زمان طويل وأن ينقلها الى عادة غيرها . والفعل الأعظم أنه لم ينقلها فقط الى عادة أخرى لـكن أعجب من ذلك أنه نقلها الى عادة أصعب من عادتها بكثير لأنه ما ضادد العـادة فقط لـكن مع ذلك ضبط اللذة وهما غاضبتان لأن العادات كانوا قـد تسلموها منذ سنين كثيرة من آبائهم وأجدادهم وآباء اجدادهم فى نسبتهم وفى حكمائهم وخطبائهم واقنعهم أن يرفضوها وهذا فكان أصـعب الأفعال وأثقلها وأن يتسلموا عادة أخرى جديدة فى ذلك الوقت دخيلةوأصعب من ذلك أنها حاوية السجية المتعبة كثيرا لأنها حجزتهم عن التنعم وأوجدتهم فى الصوم منعتهم عن حب الأموال والأملاك وثبتتهم فى الزهـد والقناعـة ابعدتهم من الزنا وقـدمتهم فى العفة حجزتهم عن الغضب ومكنتهم فىالوداعة منعتهم عن الحسد وثبتتهم فى حب المؤاخاة صدتهم عن الطريق العريضـة الرحبة ومكنتهم فى السبيل الضيقة الضاغطة بعد أن نشـأوا على ضـدها والذين صـار معهم ذلك بقـدرته هم بعينهم الذين شهدوا أنهم داموا طويلا متعودين الرذيلة حتى صـاروا فى طاعتها الين من الطين ولـكنه لـما دعاهم

الى سلوك السبيل الضيقة الضاغطة الحرجة الصعبة نفضوا غبارها عنــه ومالت قلوبهم اليه ٠

وان سألت وكم استمال من القلوب اليه أجبتك أنه ما اســتمال اثنين ولا عشرة ولا عشرين ولا مائة ولا الفا لــكن استمال جميع القــاطنين تحت السماء الا القليل منهم وان استخبرت بمن استمال هؤلاء كلهم الى الانعطاف نحوه أجبتك باثنى عشر انسانا عادمى المعرفةالبشرية خالين فصاحة ألسنتهم ليسوا من ذوى اليسار فقراء لا يملكون وطنا ولا اقتدار أقوال ولا تعمق خطابة ولا معونة معرفة لــكنه استمال لهؤلاء الصيادين والخيميين قوما لغــاتهم غير لغاتهم لأنهم ما كانوا يعرفون لغــات الذين استمالوهم ولم تكن لهم الا لغــة غريبــة مبتــذلة أكثر من اللغــات كلها وهى اللغــة العبرانية بهؤلاء ابتنى الــكنيسة المبثوثة من أقاصى المسكونة الى اقصائها ٠ وليس هذا الفعل وحده يوجد عجيبا بل الاعجب من ذلك أن هؤلاء البسطاء الفقراء القليل عددهم الذين لم يتثقفوا بالمعارف الذين يسهل انزال الهوان بهم قلدوا اصلاح المسكونة كلها وأوعز اليهم أن يقتادوها فى سجايا وعادات أصــعب من غيرها بكثير وما فعلوا هــذه الأفعــال فى ســلامة لــكنهم فعلوها والحروب الشعواء من سائر الجهات ثائرة عليهم فى كل أمة فى كل مدينــــة بل فى كل بيت كانت تثور عليهم حرب لأنهم عند دخولهم ودخول تعليمهم اليه ربما انفصل الابن من أبيــه والــكنة من حماتها والأخ من أخيه والعبد من سيده والمرؤوس من رئيسه والرجل من امرأته والمرأة من رجلها والأب من أولاده لأنهم ماكانوا كلهم يقبلون تعــاليمهم دفعــة واحدة وكان ذلك يجلب لهم كل يوم اضطهادا وحروبا متصلة وميتــات كثيرة ويجعل أعــداءهم يحــذرون منهم كما من أعداء مشاغبين وكانوا كلهم يطردونهم الملوك منهم والرؤساء العامة والأحرار والعبيد والجموع والمــدن وما كانوا يطردون الرسل وحدهم لــكن يفعلون أصعب من ذلك فيطردون معهم الذين قبلوا ايمانهم الذين كانوا قد وعظوهم وتلمذوهم فكانت حربهم تنمو نموا يعم التلاميذ ومن يتلمذونهم ٠

وتلك المقاومة التى وجهت للرسل لأن تعليمهم كان مضادا لأوامر الملوك والأمم ولغاتهم وفرائضهم لأنهم علموهم أن يبتعدوا عن أصنامهم وأن يحتقروا هياكلهم التى كان آباؤهم وأجدادهم كلهم يخدمونها ويرفضوا أعمال عباداتهم

وهذه الاعتقادات كانتتعتبر عند أولئك الجهال ذاتشأن عظيم فكانوا يبذلون انفسهم من أجلها بذلا . فكيف تكون عندهم أقل شأنا مما يعلم به الرسل وكيف يمكنهم ان يؤمنوا بمن ولدته مريم وصلب بعد أن وقف فى مجلسقضاء الوالى وبصق عليه وقاسى مصاعب جزيل عددها وصبر على موت شنيعودفن وقام وأصناف آلامه كانت واضحة لكل الذين شاهدوها وهى ضربهبالسياط واللطم فى خده وأفعال الهوان الواصلة الى وجهه الكائنة بمكاره البصاق واللطمات والاستهزاء الكثير وبالجملة فكان أمر صلبه ظاهرا للجميع أما دلائل قيامته فما كانتبهذه الصفةلانه لما قامظهر لهؤلاء الرسلوحدهم . ولكن الرسل مع ذلك اذ قالوا هذه الأقوال استمالوا سامعيها الى قبولها منهم وابتنوا الكنيسة على هذه الجبة وان سألت كيف ابتنوها وبأية طريقةأجبتك ابتنوها بقدرة الذى امرهم بهذه الأوامر لأنه هو الذى تقدم وبين لهمأفعالهم كلها وجعل الحوادث الصعبة سهلة عليهم لأنه لو لم تكن قدرة الهية التى احكمت هذه الأفعال لما كانت هذه الشرائع استمدت مقدمة لها ولا مبدأ لأن كيف يكون ذلك ولكن ذلك القائل للسماء كونى فكانت وللارض أن توجد فوجدت ولكل المخلوقات أن تظهر فتلمعالشمس وتبدو النجوم وأبدع البرايا كلها بقوله هو بعينه الذى غرس هذه الكنائس وتلك اللفظة « أبنى كنيستى » هى التى فعلت هذه الأفعال كلها لأن أقوال الهنا قوية فى فعلها مبدعة أفعالها العجيبة لأنه على نحو ما قال « لتنبت الأرض عشبا » (تك ١ : ١١) فصارت قابلة لأمره وبغتة برزت فيها الجنات والمروج وصارت كلها بستانا مخصبا وكذلك قال الآن « ابنى كنيستى » وكان ذلك بسهولةكثيرة وأسرع قوله يتم بأسرع من اللهبوالمغتصبون متدرعون بسلاحهمعليها والجند يهزون عليها اسلحتهم والجموع مهتاجون أشد من اهتياج النار وعاداتهم مقابلة لها والخطباء والحكماء المغالطون والموسرون والرؤساء يعاندونها فأفنى الشوك ونظف حقولها وزرع قول انذاره . والذين آمنوا به بعضهم سكنوا السجون وبعضهم اخذوا للمنفى وبعضهم سلبت اموالهم وبعضهم قتلوا وقطعوا وبعضهم دفعوا الى النار ومنهم اناسغرقوا واصطبروا على كل نوع من العذاب مهانين مطرودين من كل جهة وآخرون اكثر من أولئك تقدموا الى الايمان ولم يرعهم ما قاساه غيرهم بل صاروا اكثرنشاطا وهكذا دخلوا الى حظيرة الايمان لا مرغمين ولا مكرهين بل برغبة وشوق محاضرين شاكرين للذين هدوهم الى الايمان فضلهم . ومع انهم كانوا

ينظرون دماء المسيحيين تجرى أنهارا الا أنهم صاروا فى ايمانهم أكثر حرارة من غيرهم . فهكذا عرض هذا الأمر للتلاميذ ولمن تبعوهم فمنهم أقوام صاروا مكتوفين ومنهم أناس مطرودين ومنهم طائفة مجلودين ومنهم جماعة لشدائد غير هذه مقاسين فكان المتلمذون لهم يصيرون أكثر عددا وأوفر نشاطا وبولس العظيم فى الرسل يهتف قائلا « وأكثر الأخوة وهم واثقون فى الرب بوثقى يجترئون على التكلم بالكلمة بلا خوف » (فى ١ : ١٤) وقال أيضا « لأنكم تألمتم أنتم أيضا من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم أيضا من اليهود . الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن . وهم غير مرضين لله واضداد لجميع الناس . يمنعوننا من أن نكلم الأمم لكي يخلصوا » (١ تس ٢ : ١٤ ـ ١٦) وقال ايضا لآخرين « ولكن تذكروا الأيام السالفة التى فيها بعدما أنرتم صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة من جهة مشهورين بتعييرات وضيقات ومن جهة صائرين شركاء الذين تصرف فيهم هكذا لأنكم رثيتم لقيودى أيضا وقبلتم سلب أموالكم بفرح عالمين فى أنفسكم أن لكم مالا أفضل فى السموات وباقيا » (عب ١٠ : ٣٢ ـ ٣٤) .

أعرفت فرط قدرة العامل هذه الأعمال لأن ليس مدهشا فقط انهم لم يحزنوا أو لم يغتموا عند مقاساتهم هذه المصاعب لكن أعجب من ذلك أنهم فرحوا بها وركضوا لها مسرورين ولعمرى لعجب ما وصف به الرسول صبر هؤلاء بقوله « وقبلتم سلب أموالكم بفرح » وكذلك قيل عن الرسل « فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه » (اع ٥ : ٤١) وقال الرسول بولس عن نفسه « الآن افرح فى آلامى لأجلكم واكمل نقائص شدائد المسيح فى جسمى » (كو ١ : ٢٤) وهذا الرسول لم يفرح بآلامه فقط لكنه مع ذلك استدعى تلاميذه الى مشاركته فى هذا الفرح فكان هذا دلالة على نفس مسرورة سرورا زائدا اذ قال هذا القول بعينه . أنا أسر وأبتهج معكم كلكم وقال أيضا هذا القول وانتم فابتهجوا مسرورين بفرحى وأنا أقول له قل لى فما الذى جعلك تمتلىء فرحا هذا المبلغ مبلغه فيجيبنى لأننى أبذل حياتى لتقدم بيعة الله .

وياللعجب من انه لا يستطيع احد أن يبنى حائطا واحدا ينظم بناءه

بحجارة وكلس بينمـا يكون مطرودا ممنـوعا من أن يبنى ٠ الا أن هـؤلاء الأفاضل ابتنوا فى كل موضع من المسكونة كنائس هذا مقـدار كثرتها وكانوا متهشمين مكتوفين مطرودين هاربين منهوبين مجلودين مذبوحين محروقـين مغرقين هم وتلاميذهم فابتنوها ليس بحجارة لـكنهم ابتنوها بنفوس المؤمنين الأفاضل وهـذا أصعب كثيرا من البنـاء بالحجارة لأن بنـاء حائط أسهل بكثير من نقل نفس قـد اطغتها الشياطين السنين الـكثيرة وعسير جـدا اقتناعها لـكى تنتقل وتترك طغيانها ويتقدم الى عناء هـذا مبلغ عظمته الا أن العراة الحفـاة الملتحفين ثوبا واحـدا اقتـدروا مع ذلك أن يجـولوا المسكونة كلها لأن القـائل على هـذه الصخرة أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها مجدهم وأعانهم وجعلهم قادرين على محاربة العـالم كله ٠ فكم من أعداء أقوياء اصطفوا لمقاتلتهم فى ذلك الحين وكم من اضطهادات صعبة أثاروها عليهم وكيف كان حال الـكنيسة فى كافة الزمان السالف حين كانت الأمانة قـد غرست جـديدا حين كانت الشعوب قليلة التمييز لينة فى عزائمها وكان الملوك وثنيين لا سيما أوغسطس وطيباريوس وغابيوس ونيرون وسوسباسيانوس وتيطس والذين بعـدهم كلهم الى زمان قسطنطين السـعيد الملك الـكبير وهؤلاء أجمع حاربوا الـكنيسة فبعضهم حاربهـا حربا أقـل وبعضهم قاتلها قتـالا أشـد الا أنهم مع ذلك كلهم حاربوها ومع ذلك فهـذه الاغتيـالات والغـارات نقضها أيسر من نقض منسج العنكبوت وصارت أمام ايمانهم كالبخار وصـارت أضعف من الغبـار وفوق ذلك فبقتل المسيحيين أظهروا فضـائلهم وخـدمونا بترك سيرتهم الحميـدة التى صـارت ذخائرنا فى الـكنيسة وأعمـدة لهـا وهكذا لم يكونوا بركة فى حيـاتهم فقط لـكن وبعد وفاتهم أيضا صاروا سبب منفعة كثيرة للذين أتوا بعدهم ٠

أعرفت قوة سابق قوله أن « أبواب الجحيم لن تقوى عليها » فمن هذه الحوادث الحاضرة تحققنا صدق النبوة المتقـدمة أن الـكنيسة لم يقهرهـا قاهر وان كانوا لم يستطيعوا الى قهرها سـبيلا وعـددها قليل حين كـانت معتبرة بدعـة حديثـة حين كان تعليمها جديدا تمكينه ، حين كانت هـذه الحروب تتقاطر عليها ، فبالأولى لا يمكنهم أن يقهروها الآن وقد وصلت الى المسكونة أجمع والى كل موضع منها والى جبالها وروابيها وتلالها والى كل أراضيها وبحارها والى ممالكها التى تعاينهـا الشمس بعد ان هدمت الوثنية

واقفلت هياكلهم وحطمت أصنامهم وأبطلت كافة أعيادهم وأفعالهم وذخائرهم ودخائلهم وقتارهم ونجس ضحاياهم ·

وكيف وصل مذهب هـذا سموه وهـذا مقدار عظمته مع عوائق جزيل تقـديرها الى غاية بهذه الصـورة بهية والى نهـاية شاهدة بحقيقته لو لم تكن قـدرة الهية يتعذر محاربتها قـدرة الذى تقـدم فقـال هـذه الأقوال وتممها ومن يستطيع أن ينكر هـذه القوة بعد ذلك ويعاند فى هـذا الحق الا أن كان من المجانين الذين قد انحرف تمييزهم والذين قـد عدموا بصائرهم فى ذات طبيعتهم ·

وليست هذه الأقوال فقط لـكن ونبوات أخرى تنادى بقدرته التى يعجز العالم كله عن محاربتها لانه تقـدم فوصف الحوادث المـأمولة بكافة الصدق ومن الممتنع أن تسقط لفظة من الألفـاظ التى قالها وزوال السماء والأرض أسهل من أن يطعن على لفظة واحدة من الفاظه ونبواته أنها قيلت عبثا ولهذا السبب أوضح هذا المعنى قبل وصول أفعاله الى غايته وحققه على هذه الجهة تحقيقا بينـا فى صحة أقـواله التى قالهـا وقال « السماء والأرض تزولان ولـكن كلامى لا يزول » ·

وذلك على جهة الصدق لأنهـا وان كانت أقوالا لـكنها اقوال مبـدع افعـالها فعلى هذه الجهة كون السماء وخلق جميع الملائكة على هذه الصفة أبدع القوات الأخرى غير المنظورة وهـذا المعنى قـد أوضحه النبى بقوله « قال فكان وأمر فصـار » فهكـذا أبدع الخليقة كلها التى فوق والتى أسفل المحسوسة وغير المحسوسة التى فى جسم والخالية من جسم ·

فمن كانت هذه القدرة قـدرته يستطيع كل شيء ولنوضح ذلك بأكثر مما ذكرنا من نبوة أخرى لامعة اكثر من الشمس وأسطع من شعاعها موضوعة لدى ابصـار النـاس كلهم ممتدة الى كافـة الأجيـال الـكائنة فيما بعـد كامتداد تلك النبوة الأولى لأن نبواته تفوق غيرها لأنهـا لا تنتهى باتمـام غايتها ولا تنقضى فى جيل واحـد لـكنها تمتـد تتمادى مع جميع النـاس الموجودين والـكائنين بعـدهم ومع الذين بعد أولئك ومع الذين بعـد هؤلاء أيضا الى الانقضـاء لـكى يتأملوها ويتحققوا قوة صدقها والنبوة التى نحن

بصـددها مثل الأولى أيضـا لأنهـا منذ اليوم الذى قيلت فيـه والى انقضاء الدهر قـد وقفت زاهرة لا تتزعزع لامعـة منظورة فى كل حين نامية متدرجة الى قدرة أعظم ومنها يجتنى الناس الى يوم مجىء المسيح أعظم المنافع ٠

وان سالت فما هذه النبوة أجبتـك لمـا نظر ربنـا فى ذلك الحين الى هيكل اليهود الذى كان حينئذ زاهرا متلألئا فى كل جهة منـه بكثرة ذهبـه وفضته ونحاسه وتعظمه وفخيم أبنيته حاويا جسامة فخره من حسن صناعته ومادته وآلاته واذ بهت تلاميـذه من جمـاله اسمع قـوله لهم « أما تنظرون جميع هذه ٠ الحق أقول لـكم أنه لا يترك ههنـا حجر على حجر لا ينقض » (مت ٢٤ : ٢) موضـحا انقلاب الهيكل اليهودى بعد ذلك الوقت وخـرابه وكمال ابادته لأن تلك الأبنيـة كلها البهية الظاهر حسنها صارت الى العدم٠ اعرفت قـدرته أنها عظيمة وصفها فهـذا الهيكل الذى لم يضارعه هيكل آخر فى ماكان له من التوقير والتكرم الجزيلين لأن القـاطنين من اليهود فى كل صقع من المسكونة فى أقاصى الأرض بأعيـانها كانوا يوافون الى هنـالك حاملين الى هيكلهم العتيق هداياهم وضحاياهم وقرابينهم وغلاتهم وأصناف غير هـذه كثيرة مجملين هيكلهم بثروة المسكونة وكافة اليهود الملتجئين الى دينهم كانوا يتقـاطرون اليه من سائر جهات الدنيا وكان اسم ذاك المـكان عظيما واصـلا الى أقاصى الأرض والمسكونة أجمع الا أن كلمة واحدة من يسوع غيبت تلك الأبنيـة كلهـا وجعلتها زائلة كالغبار والموضع الذى ماكان لليهود كلهم أن يدخلوه وأليق ما يقـال أن المـكان الذى ماكانت جمـاعة الـكهنة تقـدر أن تدخله ولم يكن الدخول اليه مباحا الا لواحد وحده وهـو الذى قـد فاز برياسة الـكهنة وانما اطلق له الدخول دفعة واحدة فى السنة بحلته وأكاليله وصـدرته صـار الآن مباحا للأشرار والأثمة وحق لمن لادين لهم أن يمشوا فيـه ولا يمنعهم مانع لأن تلك اللفظة عند ورودها غيبت تلك الأبنيـة ونقضتها وبقى من الهيكل أثر مقداره مقدار مابين الموضع الذى كان فيـه العتيق ٠ فتفطن فى هـذا الفعل الجليل القدر لأن الذين اقتدروا على أفعال جزيل قـدرها وقهروا ملوكا وأمما وغلبوا فى كل جهة محاربيهم خلوا من دم وحـرب وقاموا بظفرات كثيرة جليلة بديعـة هؤلاء منذ ذلك الوقت الى يومنا هـذا ما اقتـدروا أن ينشئوا هيكلا واحـدا وهذه حالهم وقد قام ملوك كثيرون يساعدونهم وكل اليهود فى أقطـار المسكونة وأموالهم جـزيلة لم يستطيعوا ذلك ٠

أعرفت كيف ماقد بنـاه ربنا لم ينقضه ناقض وما نقضه لم يبنـه بان لأنه ابتنى كنيسته فلم يقتدر واحد من الناس أن ينقضها ونقض هيكل اليهود فلم يقتـدر أحد من النـاس أن يعمره · فالأعـداء أرادوا أن ينقضوا كنيسته الا أنهم ما اقتـدروا على ذلك وقـد اجتهدوا أن يعمروا ذلك الهيكل الا أنهم ما استطاعوا ولئلا يقول قائل أنهم لو كانوا قصـدوا بنـاءه لـكانوا قـد قـدروا عليه نقول ينبئنا التـاريخ أنهم قصـدوا ذلك وما امكنهم شيئا وبيان ذلك أن فى سلطة يوليـانوس العـاصى الغالب كل النـاس بالحاده خـولهم سلطانا حينئذ ومساعـدة ومارسوا العمل وما امكنهم أن يشرعوا فيـه ولا قليلا لأن نار طفـرت من أساسه فطردتهم كلهم وهـذه علامة دالة على أنهم أرادوا اعمـارته وما قـدروا وبقيت أسـاساته وما امكنهم أن يعمـروه ولا يبتنوا فيه شيئا ·

وفى التوراة أن هذا الهيكل قد نقض فى ما سـلف من الزمان وبعـد سبعين سنة عند عودتهم من بابل انشىء فى الحين وصار أبهى وأحسن من الهيكل الأول ولـكن بعد أن تنبـأ المخلص على خرابه قـد عبرت اربعمائة سنة وليست لهم همـة ولا انتظـار لعمـارته أيضـا وليس من يمنعهم الا القدرة الالهية ·

والا يوجد كثيرون منهم فى بلـد فلسـطين وفى كل مكان والفـرائض اليهودية متغيبـة ورسـوم ذبائحهم وأفعال قرابينهم وأعمال شريعتهم التى تنـاسب هذه معطلة خامدة لأن ليس ممكنا لهم أن ينصبوا دكة ولا أن يقدموا ضحية ولا ينضحوا نضـوحا ولا أن يذبحوا خروفا ولا يقـدموا بخورا ولا أن يقرأوا شريعتهم ولا أن يعيـدوا عيدا ولا أن يعملوا عملا غير هذه من تلك الأعمـال التى كانوا يعملونهـا فى الهيكل لـكنهم لـا كانوا فى وقت من تلك الأعمـال التى كانوا يعملونها فى الهيكل لـكنهم لـا كانوا فى وقت من الأوقات فى بابل والزمهم الذين سبوهم أن يترنموا مزمورا واحدا ماأجابوهم الى ذلك ولا اطاعوهم وقد كانوا مأسورين وعبيدا لساداتهم الذين استظهروا عليهم لـكنهم كانوا قـد فقدوا وطنهم وحريتهم وفى اشد الخطر من حياتهم بينهم حاصلين فى وسط فخ اعـدائهم فلما امروا أن يسبحوا تلك التسبحة التى كانوا يسبحونها بالات المزامير قالوا هـذا القول « على انهـار بابل

هنـاك جلسنا بكينا أيضـا عندما تذكرنا صهيون على الصفصاف فيوسطها علقنا أعوادنا لأنه هنـاك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة قائلين رنموا لنا من ترنيمات صهيون كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة » (مز١٣٧:١ـ٤) وما يتجه لأحد من النـاس ان يقول أنهم انما عملوا هـذا العمل لعدم وجود اداة الترنم معهم بل لأنهم افتكروا انه لا يجوز لهم أن يرنموا ترنيمة الرب في ارض غريبـة · اى وهم بعيـدون عن الهيكل لأن آلات الترنيم قد كانت معهم لأنهم قـد قالوا « على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا » ومعذلك افتكروا انه لا يجوز لهم ان يصـوموا صـوما بعيـدا عن الهيكل وهذا المعنى فقـد أوضحه النبى لهم وقال « العلكم صمتم لى صوما في مدى سبعين سنة يقول الرب » والدليل على أنهم لم يضحوا ضحية ولا نضحوا نضوحا فاسمع الثلاثة فتيـة يبينون هـذا بقولهم « ليس يوجد لنـا رئيس ولا نبى ولا مرشد ولا موضع نقـدم فيـه لديك ثمرة فنصـادف منك رحمـة » وما قالوا ليس يوجـد كاهن لأن كهنتهم قـد كانوا حاضرين معهم لـكن لـكى تعلم أنهمكانوا يعتبرون الهيكل مقر العبـادة الصحيحة والاشتراع كله به ارتبط وانحصر قالوا ليس يوجد مكان ذلك لأنهم كانوا يعتبرون انه ليس جائزا لهم ولا ان يقرأوا قراءة خارج ذلك الهيكل وهـذا الفعل فقـد شكاه منهم نبى آخر في وقت من الأوقات وقال « قد قرأوا شريعتهم خارج هيكلهم » ·

ولعمرى انهم ما عملوا فصـحا ولا عيـد مظال ولا قاموا باى فريضة من الفرائض لأنهم كانوا قد عرفوا أن هـذه كلها قـد حجزها عنهم اقفـار موضعهم وأن تعـاطوا منها شـيئا فانما يتعـاطونه منحرفين عن شريعتهم ويدون عن ذلك طائلة معصيتهم وما قـدروا أن ينهضوا ببنـاء المـكان الذى فيـه كان جائزا لهم أن يفعلوا هـذه الأفعـال كلها بحكم شريعتهم وسنتهم لأن قـدرة المسيح البانيـة كنيسته هى التى هـدمت هذا الهيكل اليهودى وقد تقـدم الأنبيـاء فـذكروا ذلك أن المسيح عند حضوره يعمل هذه الأعمال مع أن واحدا منهم وهو ملاخى كائن بعد أسرهم قال « من فيكم يغلق الباب بل لا توقدون على مذبحى مجانا · ليست لى مسرة بكم قال رب الجنود ولا اقبل تقدمة من يدكم لأنه من مشرق الشمس الى مغربها اسمى عظيم بين الأمم وفى كل مكان يقرب لاسمى بخور وتقدمة طاهرة » (ملا ١ : ١٠و١١) ·

أعرفت كيف أخرج الديانة اليهودية واظهر الديانة المسيحية بهية لامعة متحدة الى كل مكان من الارض وكل ذلك سبق الانبياء وقالوا عنـــه لاسيما دانيال الذى انبـأهم صريحا ببطلان ذبائحهم بمجيء المسيح . فسبيلنا الآن ان نمارس الطريق التى اعتمـدناها ونتـلافى مماحكة الوثنيين الذين اليهم اوجه القول .

وأقول ما ذكرت لـكم الأموات الذين انهضوا ولا البرص الذين طهروا يقال أن هــذه الأقوال كاذبة لأنه من أبصر هــذه الآيات من سمعها ؟ على أن الذين قالوا انه صلب وبصــق عليه ولطم واقتبل ضربا على رأسه أولئـــك بعينهم ذكروا آياته وعجائبـه فـكيف نصـدقهم اذا وصفوا ما احتمل من اهانة وننزل آياته وعجائبــه التى ذكروها فى منزلة أخبـار لم تكن ؟ نعـم لقــد كنا نشك فى أقوالهم لو اكتفوا بوصف مجـد معلمهم وفخره وصمتوا عن ذكر العوارض المـكروهة المعتبرة عنـد الـكل عارا التى نزلت به . فالآن فقــد أظهروا صدقهم اذ كتبوا يصــفون تلك العوارض المـكروهة وذكروها كلها بأبلغ الاستقصاء وبالفاظ واسعة كثيرة وما أغفلوا منها أمرا صغيرا ولا كبيرا على أنهم فى آياته وعجائبـه فقـد أهملوا أكثرها أما آلامه فذكروها كلها والعوارض المستكرهة عند الناس أوضحوها بأسرها .

أما أنا فانى لم اذكر ولا صنفا واحدا من آياته وعجائبه لـكى اسد كل لسان متطاول بزيادة وقاحتــه وانما أوردت الى وسط كل من هــذه الأفعال الظاهرة الآن الموضوعة أمام الحاظنا التى هى أبين من الشـمس وضـوحا والمزروعة فى كل صقع من المسكونة الواصـلة الى أقاصى الأرض كلها التى أحكامها تفوق الطبيعـة الانسانيـة التى هى أفعـال الهنـا وحـده . فاذا قلت أنه لم يقم ميتـا هل يمكنك أن تقول هذا القول ان كنائسه ليست موجودة فى المسكونة وهل تنكر انهـا اضطهدت اضطهادات عنيفـة وحوربت ولكنها انتظهرت على معانديها وقهـرتهم فاذا جاز لك أن تقـول ان الشمس غير موجودة يجوز لك أن تقول ان كنيسة المسيح لم تصبها تلك العوارض . وما قولك فى هيكل اليهود أما تعـاين انقلابه موضوعا على الحاظ أهل المسكونة كلها لم لا تفكر فى ذلك ؟ ان لم يكن المسيح الها فهو اله قادر لأنه حفظ الذين عبدوه وأرضوه من الهلاك الذى حاق بهم ولم يحفظهم فقط بل انماهموجعلهم

يزيدون عــددا أما الذين صــادموه وصلبوه تذليــلا فقــد أوصلهم الى أن فقدوا مدينتهم ومذهبهم كله وصاروا يجولون ضالين هاربين ·

ان هؤلاء اليهود قــد اعتمدوا حرب أهل رومية وهزوا عليهم اسلحتهم واستظهروا عليهم في بعض المواضع ومع أن هــذا الاقتــدار كان اقتدارهم ولــكن مع ذلك الذين حاربوا ملوكا جبــابرة وجنودا وقــوادا واســتباحوا اناسا جزيلا عــددهم ما اقتدروا أن يقيموا هيكلا واحدا ولــكنهم قــد ابتنوا في كل مكان من المــدن جوامع لهم والمــكان الذى كان لهم سالفا فخر مذهبهم وفيه كانوا قد اعتادوا أن يعملوا فرائضهم كلها وفيه التأمت ديانتهم اليهودية كلها ما قــدروا أن ينهضوه ويبنوه لأجل قوة الذى قال أنه لا يبقى فيــه حجر على حجر فله السبح والمجد والقدرة والعظمة والملك مع ابيه الصالح وروح قدسه المحيى الآن ودائما والى أبد الآبدين وآخر الدهور كلها آمين ·

المقـــالة الثانيـــة

فى الروح القـــدس

ان بالأمس قد سبح عندنا لحلول الروح القدس المسجود له يا محبى المسيح المجد ليس من الألسن البشرية بل المشهود له بالقوة الأبوية لأن كلام الله ما يتـأيد بأقوالنـا بل بقوة تأثيره فينـا لنثمر أعمـالا حسنة ويتـأيد بما يرشدنا اليه من حسن العبـادة فـكلام الله موحى به من الروح القدس. وتعليم الروح القـدس هو مصـباح حسن العبـادة والهادى الى معرفة الله والقائد الى الصواب فضرورى لـكم أن تلبثوا فى اسـتماع تفسـير الروح القدس المسجود له لنقول شيئا فى قوته المجيدة القدسية واكرر هـذا المعنى نفسه فأقول لنعرف قوة الروح ليس ببليغ كلامنا بل بالتى نتعلم بها من الروح القدس كما تعلمنا الأقوال الالهية ومن الأقوال التى أنذر بها هو نفسه متكلما عن ذاته ونطق بها الأنبياء والرسل اظهر عظمته وجلاله ·

هو بالطبيعة غير متجزىء لـكونه بارزا من الطبيعة غير المتجزئة ولا منقسمة · وأما اسمه فهو الروح القـدس روح الحق روح الله روح الآب روح الابن روح المسيح روح الرب هكذا يسميه الـكتاب بل هكذا هو يسمى ذاته روح الله والروح الذى من الله ولئلا اذا ماسمعنا نحن أنه « روح الله » نتوهم أن على سبيل الاختصاص يقال له روح الله أورد الكتاب قائلا « الروح القدس » واضـافة لقوله روح الله والروح الذى من الله لأن السموات والأرض أيضا هى لله لـكونها صنعه وما يقـال عن شىء أنه من الله سوى ما هو من جوهره ويقال الروح القـدس لأن هذه التسمية هى الأولى والحقيقيـة والتى تمتلك المعنى صحيحا والموضحة طبيعة الروح القدس روح الله ·

من سماه روح الله ؟ اسمع ما يقوله المخلص « ان كنت انا بروح الله اخرج الشياطين » قال روح الله ولئـلا اذا ما سمع احد قوله « روح الله » يتوهم بان ذلك يدل على الاختصاص وليس على الاشـتراك فى الطبيعة اجاب بولس قائـلا « ونحـن لم ناخـذ روح العـالم بل الروح الـذى من الله »

(اكو ٢ : ١٢) وقد يقال له أيضا روح الآب كما قال المسيح لرسله القديسين « لا تهتموا كيف او بما تتكلمون لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم » (مت ١٠ : ١٩و٢٠) كما قال روح الله واتبع الكتاب قائلا الروح الذى من الله هكذا يقال له روح الآب ولكيلا نتوهم بذلك على سبيل الاختصاص أكد ذلك المخلص قائلا « متى جاء المعزى ٠٠ روح الحق الذى من عند الآب ينبثق » (يو ١٥ : ٢٦) هناك قيل فيه من الله وهنا قيل من الآب فالقول الذى أورده عن ذاته بقوله (لأنى خرجت من قبل الله » (يو٨:٤٢) هذا نفسه قاله عن الروح القدس اذ قال الذى من عند الآب ينبثق فالروح القدس اذا هو من الله وروح الآب ومن الآب ينبثق وما معنى قوله من الآب ينبثق ولماذا لم يقل انه من الآب يولد ؟ فنقول لا ينبغى أن نعتقد الا بما كتب فالابن ولد من الآب والروح القدس منبثق من الآب وانت تطلب منى بلا بد الفرق ما بين ولادة ذاك وانبثاق هذا فاجيبك انك لما سمعت انه ولد عرفت أيضا انه ابن وعرفت أن الأقنوم الأول سمى الآب والأقنوم الثانى يسمى الابن باسمين مكرمين بالايمان ومحفوظين بفكر حسن العبادة ٠ وأما ماهى قوة لفظة ينبثق ؟ فالكتاب لم يقل عن الروح أنه ولد لئلا يسمى ابنا فقال الروح القدس الذى من الآب ينبثق أى منبثقا كالماء المنحدر من ينبوع كما قيل فى شأن الفردوس لأن نهرا كان ينبعث من عدن وينبع فالآب يقال له ينبوع ماء حى حسب قول ارميا النبى القائل « ابهتى أيتها السموات من هذا واقشعرى ٠٠٠ لأن شعبى عمل شرين تركونى أنا ينبوع المياه الحية » (ار ٢ : ١٢ ، ١٣) والاله الكلمة اذ ختم بأن الآب هو ينبوع الماء الحى ذكره أى الروح منبثقا من ينبوع المياه الحية فقال الذى من قبل الآب ينبثق فمن المنبثق ؟ الروح القدس وكيف ؟ كمن ينبوع ماء وقد سمى الروح القدس ماء من قول المخلص « من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه انهار ماء حى » واذا فسر هذا الماء الانجيلى قال « قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه » (يو ٧ : ٣٨و٣٩) فان كان البشير يوحنا اذ فسر الروح القدس قال الماء الحى والآب يقول تركونى انا ينبوع المياه الحية فالآب اذا هو ينبوع الروح القدس ولذلك منه ينبثق والحال انه سمى روح الله والروح الذى من الله وروح الابن واكرر القول روح الله والروح الذى من الله وروح الآب والروح الذى من قبل الآب وروح الرب وقد شهد أيضا اشعيا عن الرب المسيح قائلا « روح الرب على لأنه مسحنى » (لو٤:١٨) وبولس يقول « وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية »

(٢ كو ٣ : ١٧) فان كان حيث يحضر تكون الحرية فليس هو عبدا وان كان الذى يحل فيهم الروح القـدس يحلهم من نير العبودية ويهبهم وجـه الحرية فليس هو عبدا ايضا اذ كيف يهب مالا يمكنه كيف يكون مانح الحرية عبـدا أما سمعت بولس القـائل « لأن ناموس روح الحيـاة فى المسيح يسوع قـد اعتقنى » (رو ٨ : ٢) ايعتق العبيد الروح الذى ما يمتلك الحرية فى طبيعته فان كان خلق وتعبـد فهو ما يعتق فـلا يتفلسف الهراطقة نحونا وليعلموا ان الروح غير مخلوق ولا هو عبـد اذ بين الكتاب انه روح الله والروح الذى من الله وروح الآب والروح الذى من الآب ينبثق كما سبق ويسميه ايضـا روح الابن كمـا يقول بولس « اذ كنتم ابنـاء أرسل الله روح ابنه الىقلوبكم هاتفا يا أبا الآب وفى موضع آخر قال « وأما انتم فلستم فى الجسد بل فى الروح ان كان روح الله ساكنا فيكم » (رو ٨ : ٩) فاتضرع اليك يا هـذا اصغ الى هـذا الانتظام المقـدس الذى كسلسلة مقدسة روحية منتظمة كمن قوة مثلثلة ذكر بولس الطبيعـة ضاما فيهـا عـدم التجزىء وباسماء مختلفة أثبت القوة الواحـدة بقوله عن الروح أنه الروح وانه « روح الله » ثم قال ايضا « أن كان أحد ليس له روح المسيح فـذلك ليس له » (عد ٩) فسماه أيضا « روح المسيح » وانما قال هـذا ليوضح أنه ان كان الروح والمسيح سواء ان كان يحضر المسيح والروح فالحالة متساوية اذ قيل عن الروح انه روح الله وروح المسيح وبالنتيجة نقول انه روح القدس وروح الحق روح الأبن وكما قال المخلص أنا هو الحق فيقـال عن الروح أيضا روح الحق لأنه روح الابن كما يقول بولس « ارسل الله روح ابنه الى قلوبكم » (غلا ٤:٦) فهو اذاً روح الابن وأيضا الروح الذى أقام الرب يسوع (رو ٨ : ١١) .

الفصـــــل الأول

فى وجوب التمييز بين الروح وبين مواهبــه

وهذه الأسماء هى أسماء القوة الطاهرة أى قوة الروح القدس المسجود له لأنه قــد توجد أسماء أخرى غير موافقة للطبيعــة لـكنها انما تنــاسب الفعل • القول عميق يحتــاج سمعا صــاغيا أكيدا وأمينا لأن الروح سمى أيضــا روح الحيوة لأن المخلص قال أنا هو الحق والحياة • ولأن شريعتــه روح الحياة • هــذه أسماء السيادة أسماء الطبيعـــة وقــد توجد أسماء أخرى التى لا تناسب للروح القــدس بل تناسب لقوته وفعله أى مواهبه ولكى أوضح المعنى أقول أنه اذا منح الروح القــدس لى أو لمسيحى آخر بصلوات القديسين تقــديسا فاستمد موهبتــه ليكون روحى وجسدى مقدسين فالموهبة المعطاة لى تدعى روح قــداسة أى موهبة التقــديس وان أعطى الروح القدس موهبــة لمن ليس فيــه حكمة ولمن ليس فيــه معرفة فيمنحه ايمانا فقط لأنه قــد يوجد كثيرون لهم موهبــة الايمــان بالــكتب وهم لا يعــرفون الــكتب ويؤمنون بالــكتب فتــدعى هــذه الموهبة روح الايمان وان أخـــذ أحد قوة وموهبــة من قبل الروح ليصـــدق الوعــد بالخيرات التى تعطى فى الدهر العتيد فهو يأخذ روح الموعــد وان أخذ أحد موهبــة حكمة فتدعى تلك الموهبة روح حكمة واذا كان لأحد موهبــة محبة فيقال فيــه أنه أخذ روح المحبة وان أخذ أحد موهبــة الشهادة فيقــال فيــه روح القوة فمواهب الروح أو نعمه تسمى أرواحا لأن الواهب هو الروح القــدس وتكون المواهب والنعمة أسماء مترادفة ولذلك قــد يقول بولس « اذ لم تأخــذوا روح العبودية أيضا للخوف بل أخذتم روح التبنى » (رو ٨ : ١٥) « لأن الله لم يعطنــا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح » (٢ تى ١:٧) فهذه تسمى أرواحا كما يقول أيضا « اذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القــدوس » (اف ١ : ١٣) ويقــول « اذ لنــا روح الايمان عينه » (٢ كو ٤ : ١٣) فقوله « روح الموعد وروح الايمان » أى نعمة الروح القدس التى منحتهما •

وان كان أحد وديعــا متواضع القلب فقــد أخذ موهبة الوداعة وهى نعمة من الله وذلك ما يقوله بولس « ان انسبق انســان فأخــذ فى زلة ما

فاصلحوا انتم الروحانيين مثل هـذا بروح الوداعة (اعنى بنعمة موهبـة الوداعة) ناظرا الى نفسك لئـلا تجرب انت أيضـا » (غلا ٦ : ١) وقـد تعطى لآخر قداسـة النفس والجسد وتدعى روح القداسة كما يقول بولس الرسول « بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولا المفرز لانجيل الله الذي سبق فوعـد به بأنبيـائه ··· عن ابنـه الذي ··· تعين ابن الله بقوة من جهة روح القـداسة » (رو ١ : ١ ـ ٤) أعنى بولس الذى شرطن رسولا حسب روح القداسة لأن كثيرين ظنوا أنه يقول ··· يسوع المسيح ···حسب روح القداسة ، وليس الأمر كذلك بل بولس الرسـول المشرطن حسب روح القداسة وذلك لأنه شرطن بعـد قيـامة المسيح يسوع لأن باقى الرسل شرطنوا قبل الآلام وهذا شرطن بعد القيامة ولذلك يقول حسب روح القداسة ٠

واقول قولا آخر وهو أننا عندما نبتدىء أن نقول جميعنا عنـد تكملة الأسرار « أبانا الذى فى السموات » فنكون أخذنا روح البنوة أى نعمة روح القـدس ٠

وبالجملة فالروح القدس كما يسميه بولس الرسول هو روح الحيوة روح المحبة روح القوة روح التهذيب روح الموعد روح الايمان روح الوداعة روح النبوة وهكذا يسميه المغبوط اشعيا بقوله « ويخرج قضيب من جـذع يسى » أعنى عصا ملك المخلص لأنه قـد يسمى عهد الملك عصا ثم قال « ويحل عليه روح الرب » وهـذا اسم طبيعـة الروح ٠ ثم ذكر المواهب فقال روح الحكمـــة والفهم روح المشـورة والقـوة روح المعرفـــة ومخافـة الرب » (اش ١١ : ١ و ٢) ٠

أى انك اذا أردت أيها المؤمن او اى مسيحى آخر غيرك أن تفسر قولا وكان هنـاك المعنى غامضا خفيـا أعطى الروح القدس فيكشف لك ماخفى من المعـانى فتكون اخذت روح الاستعلان اعنى نعمة كشف الأعمـاق ولذلك اذ شـاء الرسـول لتلاميذه حسن العبـادة ليفهموا معــانى الـكتب قال « ذاكرا اياكم فى صلواتى كى يعطيكم اله ربنـا يسوع المسيح أبو المجـد روح الحكمة والاعلان فى معرفتــه ٠ مستنيرة عيون أذهانكم » (اف ١ : ١٦ ـ ١٨) ٠

وحيث يجب ان يجاهر المعلم متكلما يدعى روح الحكمة وحيث يجب أن يسمع السامع بفهم يدعى روح الفهم · ففم الـكارز فيـه موهبة حكمة وقلب السامع فيـه موهبة الفهم كما قال المرتل « فمى يتـكلم بالحكم ولهج قلبى فهم » (مز ٤٩ : ٣) وآخر لم يأخذ موهبـة التعليم بل نعمة لأن يعطى رأيا ومشورة صالحة · فالمعلم احيـانا لا يعرف أن يعطى رأيا لئلا يرتفع فتعطى لآخر هـذه الموهبة أى أن يشير مشورة صالحة مع انه لا يعرف أن يعلم · وهكذا كل واحـد يقرض الآخرين ويقترض منهم · فموسى اخذ روح الحكمة والتعليم ولـكنه احتاج لمشـورة حميـه يثرون (خر ١٨ : ١-٢٣) وموسى خضع لمشورة يثرون الذى كان كاهنـا للأصـنام ولـكن لمـا رجع من الضلال وعرف الله اعطى منه تعـالى موهبـة المشورة الصالحة وهكذا صار يثرون صورة صالحة للكنيسة التى من الأمم لأن فهم الأمم قد يفوق فهم اصـحاب الشريعة ·

وكل واحدة من هذه المواهب كانت تعطى حسب الحاجة اليها ولعمرى حين أمر الله بصنع خيمة الاجتماع لم تكن الحاجة داعية الى موهبة التعليم بل الى موهبة الصـناعة فاعطى الله بعض الاسرائيليين تلك الموهبة كما قال تعـالى « قد دعوت بصلئيل بن اورى بن حور من سبط يهوذا باسمه وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفـة وكل صـنعة لاختراع مخترعات » (خر ٣١ : ٢-٤) ·

وبالجملة فان اسماء طبيعة الروح هى كما قلنا روح الله والروح الذى من الله وروح الله وروح الرب وروح الآب وروح الابن وروح المسيح وروح من اقام المسيح روح الحيوة روح الحق وأما اسماء المواهب فهى روح القوة روح المحبـة روح التهـذيب روح الموعـد روح الأمانة روح الاستعلان روح النبوة ·

واما الهراطقة فاذ جهلوا ذلك عندما يقول الـكتاب روح القـداسة وروح الموعد التى يشـار بها الى المواهب ينسبونها للطبيعة قائلين ان الله قـد اعطى والروح وهب فيتخذون اسماء المواهب ويصعدونها الى الطبيعة وبذلك تخطوا الحق وحادوا عن الصواب فاظلم عقلهم العديم الفهم زاعمين انهم حكماء فحمقوا ·

الفصـــلُ الثـــانى

فى معنى قول السيد المسيح عن الروح « يأخذ مما لى »

ومن الـكتب نتعلم عن الروح فنقول ما قاله المخلص عن الروح القدس « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى » (يو ١٥ : ٢٦) وقال أيضا « ٠٠ وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ٠٠٠ انه يأخذ مما لى ويخبركم » (يو ١٦ : ١٣و١٥) فبهذه الـكلمة الأخيرة يحتج الكافرون ويقولون ان الكتاب أوضح أن الروح تحت سلطان الابن لأنه يقترض منه ما يعطى فاحـذر كلامهم ولا تنظر الى لفظ كلام الله بل الى معناه لأنك اذا رأيت أدوات البنـاء مبعثرة ظهرت لك مشوشة أما عند الصـانع فـكلها موافقـة ويضع كل شىء فى موضعه ومن ثم يظهر لك حسن البنـاء هكذا لمـا يتكلم الوحى عن الابن والروح لا تنظر الى الألفاظ المفرقة بل الى المعنى المـكون منهـا لأن الابن والروح قوتهمـا واحدة وحياتهما واحدة وحكمتهما واحدة ٠ فلما سر الابن أن يأخذ جبلتنا امتلىء من الروح القـدس ليس لأنه أقل من الروح القـدس بل لأنه وجب للجسد أن يأخذ حلول الروح بالرسم البشرى ليس لأن الاله الـكلمة ما كان قادرا أن يقـدس الجبلة التى أخذها فان كنت تتصل الى هـذا القول فالابن يكون زائدا أيضا لأنه كان يكفى أن الآب يقـدس الجبلة فهل أن الآب كان عاجزا عن ذلك فاستمد الروح مسعفا ؟ كلا بل لأن طبيعة واحدة هى الفاعلة الأشياء كلها فى الـكل فمنها ما يفعله الآب وينسب للطبيعـة كلها ومنهـا ما يفعله الروح القدس ويحسب للطبيعة كلها وبالنتيجة يقال أن الطبيعـــة بذاتها متساوية ومتفقة ممتلئة من السيادة السلطانية وعجيبة غير مفتقرة ولا ناقصة لا نامية ولا منتقصة ما تقبل الزيادة ولا التصغير ٠

غير أن الـكلمة المتجسد رسم جسـده بالروح لتكون العجـائب التى يصنعها منسوبة للروح القدس الساكن فيه ٠ فناسوته هيكل مقـدس فهـو انسان لأجلنـا واله لذاته وانسان لمحبة البشر أخرج الشـياطين وأراد أن اخراج الشياطين ينسب للروح القـدس كرجل قـديس حظى بالروح القدس واذ دخل الى الهيكل تناول كتاب اشعياء النبى وقرأ ماكتب فيـه من أجله

قال « روح الرب على » فهذا لا يناسب للاله الكلمة بل للناسوت ولذلك قال « لأنه مسحنى » كما قال بطرس الرسول « الذى مسحه الله بالروح القدس » يوحنا المعمدان قال « رأيت الروح نازلا عليه شبه حمامة » ولا يعقل أن الروح ينزل على اللاهوت ولكنه على الجسد واذ اعتمد للحال صعد من الماء واخرج من الروح الى البرية · كان الروح القدس للجسد كمرشد ليعلمنا أن جسده لم ينقد بشهوة بل بالروح لنكون نحن هكذا · جربه الشيطان فى البرية فانتصر عليه ولم ينتصر اللاهوت بل الناسوت لأن اللاهوت لايجرب ولا يحارب بل هو ضابط الكل دون تعب ·

فالناتج اذا أن الجسد كان فيه الروح القدس ليس فيه احدى المواهب مثلنا اعنى الواحد حكمة والآخر معرفة بل كان حاويا المواهب كلها · حقا لم يأخذ كما فى الرسل والأنبياء اعنى موهبة دون أخرى بل جميعها لأن الانسان ما يمكنه أن يسعها جميعها أما فى جسد المسيح فكانت المواهب والقوات بأسرها فيما يختص بجوهر البشر · وهيكله مملوء من كل نعمة فكانت له نعمة شفاء الأمراض واخراج الشياطين وقيامة الأموات والنبوة وفعل الحق هذه كلها كان قادرا عليها · كان له كمال المواهب فكان من لازم الضرورة أن نستمد نحن من الجسد السيدى على جهة ما كمن ينبوع يتدفق على الرسل والأنبياء وبولس يقول « فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا » (كو ٢ : ٩) فلم يقل أن فيه سكن اللاهوت على الاطلاق بل كل ملء اللاهوت اعنى ساير مواهب اللاهوت ولكيلا يظن أحد انه سكن فى الاله الكلمة قال « جسديا » أى سكن فى جسده ·

فالناتج اذا أننا من امتلائه نقترض جميعنا لأن الكتاب يقول ان الروح كان نازلا وثابتا عليه فلم يقل واهبا له موهبة واحدة بل كله ثابتا عليه ثم اذ شاء أن يوضح يوحنا أن المخلص لم يأخذ موهبته كانسان قال ان « الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء فى يده » (يو ٣ : ٣٥) فنحن اذا من ملئه نأخذ (يو ١ : ١٦) لأنه مملوء نعمة وحقا (عد١٤) فالجسد السيدى لامتلائه نستقى منه كمن ينبوع ومنه نقترض مواهبنا ·

فاتضرع اليك يا هذا اذا انتفهم قوله « يأخذ مما لى » فلم يقل يأخذ منى وانما قال مما لى من شيء من مما لى يعطيكم لكنه يأخذ لا مقترضا

بل لكونه أوعب الينبوع كمبدأ المواهب ومن الحوض يستقى ويمنح الكافة المواهب ومن أين يتضح هذا أى أن الروح من مواهبه يأخذ ؟ لما أوعب موسى من المواهب قال « لا أستطيع أن احتمل وحدى ثقل هذا الشعب اختر لك آخر » فقال له الله « انتخب سبعين شخصا وآخذ من الروح الذى فيك واجعل فيهم » فلم يقل آخذ منك بل من الروح الذى فيك « آخذ مما لى » قال الله « اسكب من روحى فى تلك الأيام على كل بشر فيتنبأون » فان كان الله أخذ من موسى واقرض فالروح أيضا أخذ من الابن واقرض لأنموسى كان رسم المسيح . فكما أن موسى أخذ منه السبعون هكذا ومن المسيح اقتبلت المسكونة مواهب الروح القدس ومن هذا نفهم قوله « يأخذ مما لى » من التى وهبها لى أنا الانسان الربانى وحدى الذىأتى واستقر فى الذى مسحنى الذى قدسنى الذى اخرجنى الى البرية وردنى ظافرا يأخذ مما لى ويخبركم ولكيما يبين انه لم يذكر الروح القدس لذلك قلت يأخذ مما لى لأن الله قدس الجسد بالروح القدس أى أرسل الآب موهبة الروح القدس الى جسد المسيح فاذا وافت النعمة وضعت المواهب كلها فى المسيح قال « يأخذ مما لى ويخبركم » فما هو اذا قوله انه لا يتكلم من عنده بل كل ما يسمعه يخبركم به . قد قلنا قبل هذا ان شىء آخر هو الروح القدس وشىء آخر هى الموهبة وشىء آخر هو الملك وشىء آخر هو انعام الملك .

الفصل الثالث

فى نقض هرطقتى اريوس ومكدونيوس

من يتقدم للحرب على أعداء كثيرين لا يدرى أيهم يطعن أولا ونحن نحارب الأريوسيين ناكرى لاهوت المسيح والمكدونيين ناكرى لاهوت الروح . وقد سبق أن نقضنا كلام الأريوسيين ببراهين قوية كما تشهدون ولعلكم تريدون منى أن أبين ضلال المكدونيين الذين يقولون انهم موافقون أمانة مجمع نيقية ولكنهم يتشبثون بقول المسيح السابق عن الروح « انه يأخذ مما لى » المسيح قد سبق وقال عن ذاته أيضا « لأنى لم أتكلم من نفسى » (يو ١٢ : ٤٩) وهذا ما يحتج به الأريوسيون . وكلا الأريوسيين والمكدونيين قد حسبوا منكرين للاهوت الابن والروح « لأن من ليس له روح المسيح فذلك ليس له » .

تسألنى أيها الأريوسى كيف أن المسيح لا يتكلم من ذاته ويسألنى

المكدوني كيف يأخذ الروح لما للمسيح فاصغوا الى وأنا أتكلم بارتعاد لأنى اتكلم فى أسرار عظيمة تحتاج الى ارشاد الروح نفسه · فأخشى أن أسير بالسفينة الى لجة لا غاية لها لأن السفينة اذا كانت على أتم استعداد ولكن ليس هناك نسيم يسيرها تقف · هكذا اذا كان اللفظ فصيحا والعبارة بليغة لا قيمة لهما فى التعبير عن الأسرار الالهية بدون ارشاد الروح القدس فلنرتشد بالهامه ليجعلنا نقنع المخالفين لأنى اشهد لهم بالحق لكى أكون بريئا اما الله وكما قال بولس « انى برىء من دم جميعكم » هكذا انا أقول لهم ·

لماذا قال المسيح « لأنى لم أتكلم من نفسى » معلوم أن قبل مجيئه له المجد ظهر مسحاء كذبة كثيرون منهم توداس ويهوذا الجليلى وغيرهما (اع ٥ : ٣٦و٣٧) ونفس المخلص قال « جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص » (يو ١٠ : ٨) فقد أتوا مدعين أنهم المسيح ويحاولون اقناع الشعب بذلك وظهر كل واحد منهم فى وقت غير وقت الآخر فلهذا قال المسيح « انهم سراق ولصوص » وأن الخراف لم تسمع لهم ثم قال « خرافى تسمع صوتى وتتبعنى » وذلك لأن أولئك لم يتكلموا بكلام الله بل بكلام أنفسهم أما المخلص فلما حضر لم يفارق الناموس ولا ترك الأنبياء بل كان دائما يستشهد بأقوالهم فلهذا لم يقل أنه يتكلم من عنده بل من الانبياء موضحا الفرق بينه وبين من سبقوه فانهم أتوا باسم المسيح ولكنهم لم يتكلموا من الناموس ولا الأنبياء بل من قرائحهم تكلموا بالضلال فلذلك قال المخلص « لأنى لم أتكلم من نفسى » كمثل أولئك ولم أخرج عن الشريعة كما خرجوا هم ·

هكذا نحن اذا رأينا هراطقة يتحركون بتعاليم ارسطوطاليسية أو افلاطونية نقول نحن نتكلم بكلام المسيح لا بكلامنا بعكس أولئك فانهم يتكلمون بكلامهم وهذا علامة انهم أنبياء كذبة كما قال الله بلسان أرميا النبى « لأنهم انما يتنبأون لكم باسمى بالكذب · انا لم أرسلهم يقول الرب » (ار ٢٩ : ٩) ·

فمن حيث أن الأنبياء الكذبة كانوا يكرزون من عندهم والمخلص مقصيا

التشامخ قال « لأنى لم أتـكلم من نفسى » لأنهم كانوا قد ظنوا انه مضل وهذا نثبته أنه لمـا كان فى عيد التجديد اختلفوا بشأنه « بعضهم يقولون انهصالح وآخرون يقولون لا بل يضل الشعب » (يو ١٠) ولمـا وضع المخلص فىالقبر قال اليهود لبيلاطس « قـد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى انى بعد ثلاثة أيام أقوم » (مت ٢٧ : ٦٣) فلما ظن اليهود المسيح مضلا أراد أن يثبتلهم صـدق ارساليته من السماء فقال لهم « لأنى لم أتـكلم من نفسى » بل من الناموس والأنبيـاء · لا بل كل ما سمعته من الآب حسب اللاهوت يقصـد بل من قبل الجسد ليزيل ارتيابهم · ويبين لهمالفرق بينه وبينهم وأنهميتكلمون بما سمعوه من أبيهم ابليس ولذلك يتكلمون بالـكذب أما هو فكلام الله الحق ونفس هذا معنى قوله عن الروح « يأخذ مما لى » ·

لأنه كما ظهر أنبياء كذبة ومسحاء كذبة كذلك سيظهر كثيرون يدعون بأن فيهم الروح القـدس وحلوله فيهم · ولمـاظهر المسيح قال أنا هو المسيح وأبطل وعد الـكاذبين ولـكن الروح لم يتجسد حتى يظهر ويقول أنا هـو الروح الحقيقى ولـكنه حل على المؤمنين على بطرس وبولس · وفى الوقت نفسه ظهر سيمون وادعى أن فيه الروح فمن اللازم أن يعرف الناس الفرق بين الروح الحقيقى والروح الـكاذب · فالوجه لا يدل على ذلك لأن كثيرين ادعوا أن فيهم الروح كما فى وخـدعت النـاس بهم فيشترط اذا ان تكون هناك علامة للتمييز فقال « يأخذ مما لى » أين يكون المتكلم بروح الحق فاذا الابن يكمل أقوال الآب وما يتكلم من عنده والروح يكمـل أقوال الابن وما يتكلم من عنـده فاذا سمعته يقول ارسل لـكم الروح القدس فلا تعنى ذلك حسب اللاهوت لأن الاله اللاهوت ما يرسل وهذه الألفاظ انما هى أسماء الله على الأفعال أسماء خفية لامعة خفيـة بالرتبة ولامعة بالثاوريا أعنى أن كل مرسل يرسل الى تلك الأماكن التى يوجد فيها · افرض أنا المتكلم فى هـذا المجلس ما أقـدر أقول لأحـد أرسلك هنـا · هـذا ليس ارسال بل جلوس معى أو حضور عنـدى فان كان الله هو موجود فى كل مكان لأنه يقول أنا مالىء السموات والأرض فالى أين اذا يرسل من هو موجود فى كل مكان ان صعدت الى السماء فأنت هنـاك وان نزلت الى الجحيم فأنت هناك أيضـا وان اتخذت له أجنحة وسكنت فى أواخر البحر فهنـاك أيضـا يدك تهدينى ويمينك تضبطنى · فالله قـد يرسل ولـكن أليس هو فى كل محل والمرسل ليس هو فى كل محل · ارسل الله ابنـه الى العالم الا أن العالم من الابن

كون فلهذا اذا جاء الى العـالم فليس كمن لم يكن قبل ذلك فى العـالم لأن يوحنا يقول « كل شيء به كان · والعـالم به كون » فـكيف اذا أرسل الى العـالم ؟ وأيضا ان كان أرسل المرسل وبقى مرسله فوق والمرسل تحت كيف قال الذى أرسلنى هو معى ؟ كيف أرسل القـائل « أبى فى » ثم كيف أرسله؟ فاذا عندما يقول أرسل اليكم الروح القدس أعنى موهبة الروح القـدس ولكيما تعرفوا أن الموهبة ترسل والروح مايرسل قالالمخلص للرسل « أقيموا فى أورشليم الى أن تلبسوا القوة من الأعالى » و « ستأخذون قوة متى حل الروح القدس عليكم » الا أن القوة الممنوحة هى خلاف الروح المانح لأن هذه كلها ينعلها الروح الواحد نفسه موزعا لـكل واحد ما يخصه كما يشاء وأما أنت فما يمكنك أن تثبت الروح القدس مرسلا باللاهوت مجردا ·

من الذى قال هذه الأقوال الآب أم الابن ؟ أنظر كيف ينطق بالتعـاليم الانجيلية ولهذا يصـح له أن يقول أنى لست أتـكلم من ذاتى بل بروح الله ويحرض على ذلك أيضا روح التواضع وانكار الذات ·

ومفاد قول المسيح « يأخذ مما لى ويخبركم » أن يعطيهم هذه العـلامة لمعرفة الـكارز الأمين من الـكاذب لأن الذى يقـول ان فيه روح الله ويتكلم مطابقا للانجيل فهذا اتبعوه وأما الذى يخالفه فلا تصغوا له · فالذى يكرز بأقوال المسيح يكون فيه الروح القدس لأنه « لا يستطيع أن يقول أحد المسيح رب الا بالروح القـدس » وبالعكس كما جاء مانى الضال وادعى أنه هـو المعزى الذى وعد به المسيح ولـكنه علم بأن الشمس والقمر يخلقان وأنهما يجتذبان الأنفس ويصعدانها · فأين قرأت هذا فى تعاليم المسيح ؟ فهو اذا يتكلم مما له عنده بعكس روح الله الذى كانت تعاليمه وتعاليم المسيح سواء حتى أنقوله له المجد « يأخذ مما لى ويخبركم » نفهمه بمعنى أن ما قلته لكم هو يحققه · وكما أن السيد المسيح كان يكمل الناموس والأنبياء هكذا الروح القـدس يكمل انجيل المسيح وكما حقق المخلص النـاموس هكذا حقق الروح كلام المسيح · فكلما كتب فى الناموس تممه المسيح وكلما هو فى تعليمالمسيح تممه الروح القدس لا لأن أقوال الآب فى العهد القديم ناقصة فجاء المسيح ليكملها بل ظهر فأكدها هكذا الروح القدس ظهر فأكد أقوال الابن كيف نثبت هذا قال المخلص « ان لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الآن · وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشـدكم الى جميع

الحق » (يو ١٦ : ١٢و١٣) فلذلك قال المخلص « يأخذ مما لى » لانهسيقول لهم مالم يقله المسيح ·

ارسال الروح قـد يحتسبه الهرطوقى حقـارة لأنه لا يفهم أن الروح يرسل ولا ينتقل لهذا كتب أن الله سكب روحه اعنى موهبة الروح القـدس فاللاهوت ما ينسكب بل الموهبة ولذلك يتضح أن الذى ينسكب ليس هو الروح القـدس بل نعمة الروح الالهى قال المرتل « انسكبت النعمـة على شفتيك » فالنعمة تنسكب وليس واهب النعمة فالناتج اذا انه ليس لكلام الهراطقة قيمة واما أنت فاكرم الروح القدس الذى أخذته · قـد قلت مرارا كثيرة انككسبت اذ بابلك المسيح أخذ منك المسيح جبلتك وأعطاك هو روحه · كرم هو جبلتك اذ اجلسها عن يمين الآب فهكذا مجد الروح القدس الذى يسكن فيك · بهذا التعليم نطق الأنبيـاء وعلم الرسل واعترف الشـهداء وآمن الـذين حسنت عبادتهم والسكنيسة مؤيدة بذلك والمجدف به هزم والمؤمن قد اقتنع والمسيح قد تمجد لأن له المجد والاكرام والسجود مع الآب والروح الكلى القـداسة المحيي الآن وكل أوان الى دهر الداهرين آمين ·